

الحزب الوطني بين زعامتين

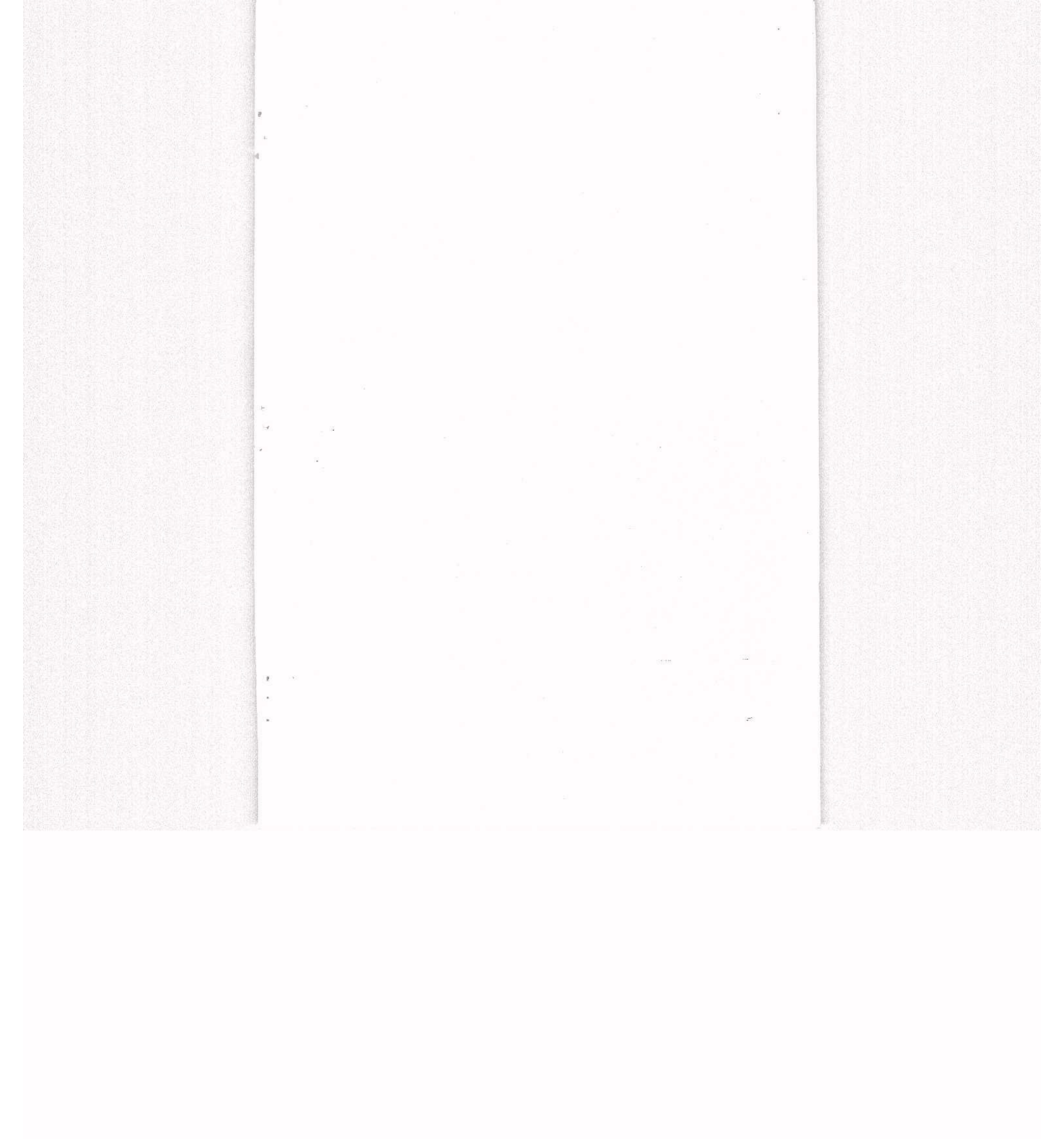
مصطفى كامل - محمد فريد



د . عبد المنعم ابراهيم الجميعى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

ووكيل كلية التربية فرع جامعة القاهرة بالفيوم



مقدمة

المعروف أن الحزب الوطنى تأسس أول مرة فى مصر فى العقـــد الأول مـــن القـــرن العشرين على يد الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، ومن الطبيعى أن يكون شعاره الأساســـى المطالبة بالجلاء وتحرير مصر من نير الاستعمار البريطانى فقد تشكل الحزب فى عصـــر الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وظل مخلصا لمبادئه وأهدافه رغم ما أصابه من هزال حتـــى قيام ثورة ١٩٥٢ ، وحينما قررت حكومة الثورة حل الأحزاب وإعادة تنظيمها تقدم الحزب ببرنامجه تحت اسم الحزب الوطنى الجديد ، لكن القرار النهائى بحل الأحزاب فى مـــارس ١٩٥٣ قد حال دون ذلك ، وفى خلال حكم الرئيس الراحل أنور السادات تم السماح فـــى عام ١٩٧٤ بقيام منابر متعددة داخل الاتحاد الاشتراكي للتعبير عن الرأى والرأى الآخـــر وفى نوفمبر ١٩٧٦ رأى الرئيس الراحل إعادة تأسيس الأحزاب وخلال ذلـــك تأســـس حزب مصر وبعد أحداث ١٨ ، ١٩ يناير ١٩٧٧ اتخذ الرئيس الســـادات قـــراره بتـــأليف الحزب الوطنى الديمقراطى .

ومن الطبيعى أن تختلف شعارات وأهداف هذا الحزب عن نظيره القديم ، فالأول أســـس ومصر مكبله بقيود الاحتلال العسكرى والتسلط السياسى الإستعمارى أما الثانى فقد قام فى ظل حكومة وطنية ومصر دولة مستقلة لا يدنس ترابها محتل ، وتملك قرارها السياســـى وتتصرف بكل حرية وفق مقتضيات ومصلحة هذا الوطن ، ومن هنا لا يصح أن نعتـــبر الحزب الجديد امتدادا للحزب القديم لاختلاف المناخ الذى نشأ فيه كل منهما ، فالأول نشـــأ بإرادة شعبية هدفها إقامة جبهة وطنية متماسكة فى وجه الاحتلال لتعمل علـــى طـــرده ، وتحرير تراب مصر وإرادتها السياسية والثانى نشأ فى ظل حكومة مصرية وطنية بـــهدف استكمال هيكل الحكم الديمقراطى فى مصر بتعدد الأحزاب .

وإذا جاز لنا أن نتخيل خط اتصال بين الحزبين فيمكن القول بأن الأول يمثل قاعدة الهرم المصرى لانه نشأ بإرادة شعبية ومن شخص لا يملك أى سلطة سياسية غير رصيد كفاحـــه الوطنى وهو مصطفى كامل ، والآخر يمثل قمة الهرم لأنه نشأ بقرار سياسى مـــن أعلـــى سلطة سياسية فى مصر وهو رئيس الجمهورية ، أما ما عدا ذلك فلا وجه للمقارنة فالعصر بخلاف العصر والهدف بخلاف الهدف.وحرارة المجتمع المصرى بأسره كانت سارية فـــى جسد الأول فى حين تبذل الحكومات المصرية المتعاقبة طاقتها لجعل الثـــانى مثـــل الأول وعلى أى حال فإن هدفنا من نشر هذه البحوث هو أن يستلهم شباب هذا الجيل من الماضى ما يضيئ لهم الطريق فى الحاضر والمستقبل.

ويضم هذا الكتيب ثلاثة بحوث ألقيت فى المواسم الثقافية للجمعية المصريـــة للدراســـات التاريخية تحت عنوان :.

١- مصطفى كامل وتأسيس الحزب الوطنى.

٢- محمد فريد وزعامته للحزب الوطنى .

٣- الزعامة الوطنية بين مصطفى كامل ومحمد فريد .

ولما كانت هذه الأبحاث تعطى صورة متكاملة عن الزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد فقد رأيت إعادة طبعها خشية ضياعها فى زحمة التأليف والتواليف التى يذخر بها ســـوق النشر .

والله ولى التوفيق

د. عبد المنعم الجميعى

الزعامة الوطنية بين مصطفى كامل ومحمد فريد

هذان الزعيمان كل منهما جاء من نبع وكان يمثــل طبقة معينــة تختلف كل منها عن الأخرى اختلافا بينا : مصطفى كامل مصرى صــميم أجداده من الفلاحين وأبوه نشأ فى بلدة كتامة الغاب من أعمال مركــز طنطا ، وعمل موظفا صغيرا فى خدمة الحكومة المصرية وربما نجد بين أفراد أسرته من يحملون اسم حفيظة ، وست الدار ، وشلبى ، ونفيسة ، وحسنين ، ومحمدين ، ونعناعة ، وخضرة •

أما فريد ابن الذوات فقد نشأ فى بيت عز وجاه وسلطان فجــده الأعلى عثمان أفندى قدم الى مصر مع الفتح العثمانى لها ، وتولى أرفع المناصب بها وكان أبوه ناظرا للدائرة السنية ، وكان من بــين أفــراد أسرته من يعرف التركية ويتحدث بها بطلاقة •

ورغم هذا التباين الطبقى بين هذين الزعيمين ، ورغم أن نشــأة فريد العائلية كانت تؤهله للعيش منعما فانه ترك انتماءه الطبقى ، واقتحم ميدان الجهاد ، وتحمل مشاقه ، واتصل بمصطفى كامل وتوثقت الصداقة بينهما منذ عام ١٨٩٥ حينما التقيا بباريس ونسقا معا خطط الكفــاح من أجل اجلاء المحتلين عن مصر •

والشىء المثير للتساؤل والدهشة هو أن فريد الارستقراطى النشأة والذى كان يمكنه أن يأمر فيطاع انضوى تحت زعامة مصــطفى كامل الأصغر منه سنا ، والأقل طبقة رغم أن المجتمع فى ذلك الوقت كان يفضل دائما الأكبر سنا باعتباره أكثر خبرة ودراية •

الواقع أن فريد وجد فى مصطفى كامل الاخلاص للقضية الوطنية ، ذلك الاخلاص الذى كان ينشده ويبحث عنه بين زملائه فلم يجده الا نادرا ، ومن هنا التقيا معا فى الكفاح دون النظر الى الزعامة أو المكانة .

وقبل أن نتطرق الى موضوع زعامة كل من مصطفى كامل وفريد للحركة الوطنية المصرية تطرح عدة أسئلة علينا نفسها : هل طبيعة المناخ السياسى والاجتماعى فى مصر بعد الاحتلال هو الذى أتاح لزعامة كل من مصطفى كامل وفريد الانبثاق والظهور ؟ وهل ترتبط الزعامة دائما بالمواقف والأزمات التى يتعرض لها الوطن ؟ وهل التغيرات التى يحدثها الزعيم تستمد مقوماتها منه أم من البيئة التى يعيش فيها ومن ظروف الأجيال التى انحدر منها ؟

الواقع أن ظروف مصر بعد انكسار العرابيين فى التل الكبير واستيلاء الانجليز على البلاد ، والجو النفسى الكئيب الذى عاش فيه أبناء الوطن هو الذى هيأ المناخ لوجود زعامات من الطبقة المثقفة أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد . فالهزيمة العسكرية غيرت من واقع المجتمع المصرى الذى كان على شفا الانهيار ، ومن أجل ذلك انتقلت القيادة الوطنية من طبقة العسكريين أمثال عرابى وزملائه الى طبقة أخرى من طبقات المجتمع المصرى كانت قادرة على امتصاص روح الهزيمة من نفوس أبناء الشعب ، وانارة طريق الكفاح أمامه وهى طبقة المثقفين فالموقف الذى طرأ على البلاد فرض زعامة من نوع معين زعامة تتسق مع ملابسات وظروف المجتمع المصرى الذى كان فى حاجة الى من يرسم له طريق الخلاص ويستطيع التعبير الحقيقى عن آرائه ، وهنا كان المفتاح الرئيسى لقيام زعامة مصطفى كامل ومحمد فريد .

فمصطفى كامل كان يمثل جيل مابعد الثورة العرابية ، وهو الجيل الذى حاول أن يتجاوز كل مظاهر الاحباط والكآبة التى حدثت نتيجة للهزيمة ، هذا الجيل كان يتميز بالحس الثقافى والفكرى والقدرة على استيعاب خبرات الماضى وطرح رؤية جديدة تحدد مسار الأمة المهيضة

الجناح ، وهكذا تزعم الحركة الوطنية المصرية لأول مرة رجال ينتمون الى الصفوة العلمانية المثقفة التى تمزج بين الفكر السلفى والفكر الليبرالى ، وهذا مايختلف عن الزعامات المصرية السابقة كعمر مكرم باعتباره من الصفوة الدينية المستنيرة أو كأحمد عرابى بصفة أحد زعماء العسكريين[1] .

وهكذا فان دور المجتمع فى تكوين الزعيم يبدو واضحا عند نظرتنا الى التطورات الطارئة التى لحقت به ، وجعلته فى حاجة الى زعامة معينة تلعب دورها وهى متأثرة بالظروف التى يمر بها هذا المجتمع يضاف الى ذلك أن ظروف المجتمع هى التى تحدد الطريق للزعيم حتى يصبح عنصرا مؤثرا فيه تارة ومتأثرا به تارة أخرى فالزعيم الحق هو الذى يعى بثاقب نظره مايعانيه مجتمعه ، ويعرف المتطلبات التى ترفع عن كاهله هذه المعاناة ويعمل من أجل تحقيقها أو يحاول ايجاد الحلول الملائمة لها ، وبعبارة أخرى فان الانسان الذى تتاح له فرصة الزعامة لم يولد زعيما بل أن الظروف والمتغيرات التى يتعرض لها المجتمع هى التى تؤهله لتولى الزعامة وهى التى تتيح الفرصة لابراز قدراته اذا كانت لديه الاستعدادات اللازمة لذلك . ومن هنا يكون الزعيم هو الشخصية التى يتجه أو يتطلع اليها الوطن لحاجته الماسة لها أو لشعوره بأن هذه الشخصية هى التى تحقق أمانيه[2] ، وقد وجد الشعب المصرى فى مصطفى كامل الزعيم الشاب الذى يستطيع انتشاله من وهدة الهزيمة ومن براثن الذل والهوان الذى تعرض له ، ونظرا لأن النفوس كانت متعطشة الى نغمة جديدة تجدد فيها الأمل بحياة حرة كريمة بعد أن تسرب اليأس اليها . لذلك اعتبر الشعب مصطفى كامل رسول الوطنية

---

(١) د . عاطف فؤاد : الزعامة السياسية فى مصر — عرض تاريخى وتحليل سسيولوجى . القاهرة — دار المعارف ١٩٨٠ ص١٠٥ .

(٢) محمد على الغتيت : الزعيم . العبقرية والزعامة السياسية . القاهرة ١٩٧٤ ص٧٩ .

الذى جاء لتثبيت العزائم بعد أن خارت قواها أو قربت من ذلك ، ومن أجل هذا أقبل عليه بحماس وآزره فى كل مواقفه وتعلق به .

وقد يدفعنا هذا الى أن نتساءل هل كان مصطفى كامل الشخص الوحيد الذى كانت لديه القدرة على تحمل الرسالة بعد انكسار العرابيين ؟ الواقع أنه كان يوجد بين المصريين من يستطيع حمل هذه الرسالة ومن هم أكثر نضجا من مصطفى كامل وتفكيره ، ولكن ما هى متطلبات المجتمع فى الرجل الذى يستطيع أن يتحمل عبء الزعامة فى ذلك الوقت ؟

ان متطلبات المجتمع كانت تنحصر فى شخص لديه الاقدام والشجاعة وحمية الشباب ، شخص يستطيع ازالة آثار اليأس الكريهة التى عششت على المجتمع باتباع أسلوب جديد يشعل حماس الناس ويخاطب شعورهم وأحاسيسهم ، وكانت هذه الصفات تنطبق على مصطفى كامل .

فمصطفى كامل يختلف عن غيره فى أنه كان لديه الإقدام ، كما كانت لديه حمية الشباب الملتهبة يضاف الى ذلك أنه كان لديه أسلوب جديد فى الخطابة ، وهو الأسلوب الوجدانى الذى يخاطب عواطف الناس وقلوبهم قبل أن يخاطب عقولهم هذا الأسلوب الذى يعتمد على الجمل الضخمة التى تثير شعور الجماهير دون روية للوصول الى الغاية التى تنشدها وتتمناها[٣] .

هذا هو الذى فرض مصطفى كامل كزعيم دون غيره لأن الظروف التى كانت تمر بها مصر كانت تتطلب مواصفات زعامته .

وهنا يمكننا أن نتساءل مرة أخرى هل الزعيم المؤسس لأى حركة يكون أقدر ممن يأتى بعده فى زعامة هذه الحركة أم العكس

---

(٣) محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص٥٦ .

هناك رأى يرى أن الزعيم المؤسس للحركة يكون أكثر دراية وتجربة ومعرفة بحركته ممن يأتى بعده لأنه هو الذى وضع نواة حركته وعمل على ابرازها ، وهناك رأى آخر يرى أن الزعيم الذى يخلف غيره فى زعامة الحركة يكون أكثر معرفة باخطاء سلفه وأكثر دراية بها ولذلك يستطيع تصحيح مسيرة الحركة .

وبالرغم من وجاهة كل من الرأيين فالواضح أن الظروف السياسية والاجتماعية المتغيرة التى يتعرض لها الوطن ثم ظروف تكوين الزعيم هى التى تؤثر فى حركة الزعامة أكثر من أى شىء آخر ، وعلى سبيل المثال فظروف زعامة مصطفى كامل تختلف عن ظروف زعامة محمد فريد ، فمصطفى استفاد من نزاع الخديو مع كرومر وحاول عن طريق ذلك تحقيق بعض الأهداف الوطنية ، كما أنه اعتمد على استغلال التناقض بين انجلترا وفرنسا من أجل اجلاء الاحتلال أما فريد فقد جاءت زعامته بعد أن تغيرت كل هذه الظروف فقد تولى الزعامة مع سياسة الوفاق التى اتبعها جورست مع الخديو ، والتى أدت الى ضرب الحركة الوطنية من كلا الطرفين فكان فريد هدفا لحرب مزدوجة لم يتعرض لها مصطفى كامل كما أن زعامة فريد جاءت بعد وفاق انجلترا وفرنسا لذلك كان من الصعب استغلال التناقض القائم بينهما كما فعل مصطفى كامل فى أول الأمر ، ومن هنا اختلفت سياسة محمد فريد عن سياسة سلفه يضاف الى ذلك أن فريدا الزعيم الثانى للحزب الوطنى بدأ من حيث انتهى مصطفى كامل ، فالمعروف أن مصطفى كامل لم يضع منهاجا واضحا فى طريقه كفاحه السياسى فقد اعتمد على تناقض مصالح فرنسا وبعض الدول الأوربية مع انجلترا من أجل تحقيق الجلاء واثبت الاتفاق الودى انهيار هذا الأساس كما اعتمد مصطفى كامل على الدولة العثمانية والخديو واتضح أن لكل منهما مصالحه الخاصة التى يفضلها عما عداها وانتهى به الأمر الى الاعتماد على الرأى العام أما فريد فقد اعتمد على الشعب المصرى منذ أن تولى رئاسة الحزب ولم يقتصر اعتماده على المثقفين كما فعل مصطفى كامل بل جذب اليه الكوادر العمالية والفلاحية

ثم حاول الربط بينها وبين حركة المثقفين فى مواجهة الاحتلال ، ومد فروع الحزب الى الأقاليم لتزداد شعبيته كما قام بتنظيم الطلبة المصريين فى أوربا .

ومن هنا لانستطيع أن نقول أن الزعيم الأول أفضل ممن يأتى بعده أو العكس بل نقول ان ظروف المجتمع هى التى تحدد مسار الزعامة ولما كان لكل زعامة من معلم أو مثل أعلى يحتذى به فهل نبتت زعامة مصطفى وفريد من فراغ أم أن كلا منهما تلقى دروس الوطنية من أحد زعماء الجيل الذى سبقه وعاصر تجارب النجاح والفشل التى تعرض لها الوطن حتى يستطيعا استيعاب خبرات الماضى .

الواقع أن مصطفى كامل قد تأثر بعبد الله النديم خطيب الثورة العرابية واستطاع بصحبة هذا التأثر التعرف على حقيقة التيار السياسى فى مصر ، وكيف شوه رجال الاحتلال مبادىء العرابيين وخططهم كما تعلم منه القواعد التى اذا اتبعها يكون وطنيا ناجحا[٤] يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل كانت صلته وثيقة بعلى باشا مبارك .

أما فريد فقد كان لمعايشته وهو فى سن الرابعة عشر — ولد عام ١٨٦٨ — النكبة التى حلت بالبلاد اثر هزيمة التل الكبير ، وما سمعه عن المآسى التى حدثت لمصر من جراء الاحتلال أكبر الأثر فى تكوين نزعته الوطنية يضاف الى ذلك أنه حضر مجالس لطيف باشا سليم ، وتعلم منها المبادىء الوطنية ، وورث عنها مبدأ معارضة التعامل مع الخديو .

وعلى كل حال فهناك عدة سمات تميز الزعامة ، ولما كانت سمات زعامة كل جيل تختلف عن غيرها من الأجيال الأخرى فسنقصر حديثنا على سمات زعامة جيل مصطفى كامل وفريد .

---

(٤) للتفاصيل انظر كتابنا عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية . القاهرة — دار الكتاب الجامعى ص١٩٩ — ٢٠٠ .

الواقع أن الايمان المطلق بالقضية الوطنية ، والثبات على المبدأ والشجاعة ، وقوة الارادة ووعيها ، وسعة الافق والقدرة على التأثير فى الجماهير بالخطابة والصحافة ، واحترام مشاعر الناس ومعتقداتهم كانت من أهم سمات الزعامة فى ذلك الوقت ، ومع ذلك فان مصطفى وفريد لم يكونا متفقين فى كل هذه السمات أو غيرها بل كان هناك أوجه اتفاق بينهما كما كان هناك أيضا أوجه اختلاف وفيما يلى نعرض لأوجه الاتفاق •

اذا كانت كثرة القراءة وسعة المعلومات والالمام بدقائق المسألة التى يتبناها الفرد أو يدافع عنها هى احدى سمات الزعيم الناجح فمما لا شك فيه أن مصطفى وفريد قد تميز بهذه الصفة ، وكان لقراءة كل منهما للتاريخ بل والتأليف فيه أكبر الأثر فى اكسابهم خبرات الآخرين وتعميق كوامن الوطنية فى نفسيهما فقد قرأ مصطفى كامل تاريخ الأمم الأوربية ودرس تاريخ القضية المصرية ، وله مؤلفات تاريخية تشهد بقدرة على استيعاب التاريخ منها كتاباه « المسألة الشرقية » و « الشمس المشرقة » •

أما فريد فله الى جانب مذكراته المخطوطة عدة كتب تدل على اهتمامه بالتاريخ منها كتاب « البهجة التوفيقية فى تاريخ مؤسس العائلة المحمدية » ومنها كتاب « تاريخ الدولة العثمانية » وكتاب آخر عن « تاريخ الرومان » ومن يتفحص هذه الكتب يتضح له مدى النضج الفكرى وسعة الاطلاع والالمام بالمسائل السياسية القومية والدولية لكل من مصطفى وفريد واذا كانت زعامة تلك الفترة تقتضى عمل الزعيم بالصحافة حتى يكاد يبدو لمن يقوم بالتأريخ لزعامة أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى أن الزعامة والصحافة شىء واحد فقد كان زعماء تلك الفترة يقودون بأفكارهم ومقالاتهم الصحفية كافة أبناء الشعب[٥] ،

---

(٥) مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة . المجلد العشرين . الجزء الأول مايو ١٩٥٨ مقال للدكتور عبد اللطيف حمزة تحت عنوان « الطور الصحافى من أطوار الحركة الوطنية أو العصر الذهبى لصحافة المقال فى مصر » .

فقد وعى كل من مصطفى وفريد ذلك فعبرا فى كتاباتهما بالصحف عن أفكارهما التى قادت الجماهير وأشعلت الكراهية للمحتلين .

وقد عمل مصطفى كامل منـذ صباه فى الكتابة الصحفية فأسـس مجلة المدرسة ونشرت له الأهرام والمؤيد بعض المقالات ثم أسـس بعد ذلك اللواء التى كانت قلعة من أكبر قلاع الوطنية ، ومدرسة يتلقى فيها الشعب المصرى على اختلاف طبقاته درسا فى الوطنية ، ولم يكتف مصطفى كامل بذلك بل أسس صحيفتين احداها بالانجليزية والأخرى بالفرنسية حتى يتضح للرأى العام العالمى حقيقة المسألة المصرية .

أما فريد فكانت له الكثير من المقالات المستفيضة فى الصحف فقد راسل الصحف منذ تخرجه من مدرسة الحقوق فكتب عدة مقالات فى مجلة الاداب والموسوعات والمؤيد ثم فى اللواء وصحف الحزب الوطنى الأخرى مثل العلم والشعب وكانت هذه المقالات تجمع بين النضج الفكرى وغزارة المـادة .

واذا كانت سمات الزعامة تتركز فى الايمان المطلق بالقضـية الوطنية فان كلا من مصطفى كامل وفريد قد آمن بالقضية المصرية ايمانا مطلقا بل وضحى فى سبيلها بكل شىء وبذل النفس والنفيس من أجلهـا ورسم كل منهما لنفسه خطة المقاومة المستمرة للاحتلال وهى مقاومـة لا ضعف فيها ولا هوادة ولا تراجع وظل كل منهما ثابتا فى جهاده رغم جنوح معظم رجالات مصر الى الولاء للاحتلال واكتساب رضاه والأمثلة على ذلك كثيرة منها أن فاشودة كانت بمثابة الضربة القوية لحركة مصطفى كامل كما كانت أحد عوامل اليأس فى نفوس معظم الوطنيين ، ومع ذلك فان مصطفى كامل لم ييأس ، ولم ينخفض صوته ولم تفتر عزيمته بل كان رده هو مضاعفة الجهاد والكفاح كلما زادت المصاعب والعقبات .

وعندما وقعت انجلترا الاتفاق الودى فى ٨ أبريل ١٩٠٤ لم يتزعزع

يقين مصطفى كامل فى الجهاز .وبذلك برهن على ثبات وطنيته ، وان الأحداث لا تزيدها الا صلابة .

ولا يعنى هذا أن مصطفى كامل لم ييأس طوال أيام كفاحه الوطنى فالواقع أن صاحب دعوة لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس اعترته عوامل اليأس فى بعض الأحيان حتى وصل به الأمر فى بداية كفاحه الوطنى الى التفكير فى الانتحار ويتضح ذلك من الخطاب الذى أرسله من باريس الى صديقه فؤاد سليم والخاص بشكواه من ضيق ذات يده بعد أن كف الخديو عن ارسال نقود له فيقول مخاطبا صديقه « أليس فى استطاعة والدك والهلباوى ومحمود سالم أن يرسلوا لى سنويا أربعمائة جنيه مادامو يعتبرون أنفسهم وطنيين ويقدرون جهودى الوطنية ، واذا كانوا غير قادرين على مساندتى فانى سأعود الى مصر يائسا فاقد الأمل ليس من أجل الجلاء فحسب بل من أجل مستقبل الأمة المصرية ، وتأكد ياصديقى العزيز انى لم أمكث فى مصر بعد عودتى دون أن أرى القبر (أكيدا) سوف انتحر ولا أعيش وسط أمة جاحدة[٦] .

الواقع أن هذا الخطاب وضعنا فى حيرة وطرح عدة أسئلة تتطلب الاجابة : هل حدة المزاج يمكن أن تخرج الانسان عن طوقه اذا تعرض لبعض الضغوط لدرجة أن يفكر فى التخلى عن مبادئه التى آمن بها ونادى الناس بالتمسك بها ، وكلنا يعرف أن وطنية مصطفى كامل كانت ممتزجة بحدة المزاج .

وهل كان مصطفى كامل مطالب بأن يبعث فى أمته الحياة ، وينبذ فيها فكرة اليأس بعد أن أوشكت على الغرق فيه رغم أن هذه الفكرة غير متمكنة منه ؟ .

---

(٦) عبد العزيز حافظ دنيا : رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجازى . القاهرة — دار النهضة المصرية ١٩٦٩ خطاب رقم ١١ ص ٥٨ .

الواقع أن اليأس الذى انتاب مصطفى كامل كما يتضح من خطابه لم يكن ثابت الجذور فى نفسه بل كان يأسا طارئا زال بزوال المؤثرات التى أدت اليه ، فعندما تعرض مصطفى كامل للضغوط المالية الشديدة خـرج عن طوقه وكان ذلك فى أوائل عهده بالزعامة ، وبمعنى آخر فى ١٦ أكتوبر ١٨٩٥ أى فى وقت لم تكن حركته قد وصلت الى الأنتعاش الذى وصلت اليه بعد ذلك أو بعد أن صقلته الزعامة وحنكته التجارب وصهرته الصعاب فقد أصبح أصلب عودا وواجه العقبات بثبات •

أما فريد فبالرغم مما تعرضت له الحركة الوطنية من ضربات متلاحقة سواء من الخديو أو من الاحتلال نتيجة سياسة الوفاق فقد ظل متمسكا بمبادئه متحملا للمصاعب والعقبات دون كلل ، وكلما زادت الأمور صعوبة كلما ضاعف فريد من جهاده •

ومن كلماته المأثورة فى هذا الصدد قوله « لا ينتظر أحد منا أن نحيد عن مبدئنا مادام فينا عرق ينبض أو تجرى فى أجسامنا نقطة دم » لذلك فان فريد لم ينثن عن مقاومة الاحتلال أو كل من يلوذ به أو يحالفـه حتى لو كان ذلك أكبر رأس فى البلد وقتذاك وهو الخديو فرغم آلام السجن رفض فريد مساومة الخديو له بأن يخفف فى لهجته فى نظير الوعد بالافراج عنه ، وآثر السجن على التساهل فى مبادئه ورغم انفضاض بعض أنصار فريد عنه وانحيازهم الى جانب الخديو فان الضعف أو اليأس لم يعرف الى قلبه سبيلا فقد أعلن أن سياسته لم تتغير حتى لو ظل وحده[٧] وقدم حياته طائعا مختارا من أجل تحرير مبادئه •

وبما أن الزعيم لابد أن يكون واضح الأهداف محدد المبادىء فان مصطفى كامل جعل لنفسه هدفا واحدا هو الجلاء ، وعدوا واحدا هو الاحتلال أما فريد فانه لم يختلف مع مصطفى كامل فى خطته هـذه وان

---

(٧) الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص٤٤١ •

كان قد أبرز معها دعوته للمطالبة بالدستور واعداد العرائض لانشـــاء مجلس نيابى[٨] .

واذا كان الزعيم الناجح هو الذى يبتعد عن اثارة أحاسيس الناس ولا يحاول هز معتقداتهم أو عاداتهم بل يحاول استمالة العواطف الموجودة فى نفوسهم فان كلا من مصطفى كامل وفريد قد عمل على تحقيق هـذه الغاية فمصـطفى كامل ربط بين دعوته لحب الوطن وبين معايير مجتمعه فتمسك بالقديم ، وكان متحفظا على المبادىء الأوربية فى تربية البنـات ودافع عن سياسة الحجاب واعتبرها عصمة للنساء ثم عارض فكرة تحرير المرأة موضحا « أن قواعد الشرع والأدب تقضى بفرض الحجاب على النساء فليس لهن أن يستخدمن بالمصالح كالرجال وانما يكفى أنهن يدبرن شئون المنزل ويهذبن أولادهن[٩] » يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل كان خصما لدودا لكتاب تحرير المرأة الذى أصدره قاسم أمين عام ١٨٩٩ كما كان خصما لدودا أيضا لصـاحبه فحمل عليه حملات ضارية فى اللواء[١٠] ورفض فكرة سفور المرأة .

ولـما أثيرت قضـية زواج الشيخ على يوسف من ابنة الشيخ السـادات رغم ارادة والدها وقف مصطفى كامل ضد صاحب المـؤيد مهاجما اياه ومؤيدا للتقاليد الموروثة ومتمسـكا بها ، وكانت فرحتـه شديدة عندما طالبت المحكمة ابطال هذا الزواج ، ويبدو ذلك واضحا فى رسالته الى جوليت آدم بتاريخ ٤ أكتوبر ١٩٠٤ حيث قال « أزف اليك نبأ عظيما .. ان محكمة الاستئناف أيدت حكم أول درجة القاضى بابطال زواج ذلك الصحافى المسكين الذى حدثتك عنه ، وعلى الباغى تـدور

---

(٨) للتفاصيل انظر : دار الوثائق . تقارير الأمن العام — الداخليـة تحت عنوان « عرائض وطلبات من الأهالى بانشاء مجلس نيابى ١٩٠٨ » .

(٩) مجلة المدرسة : العدد الأول فى ١٨ فبراير ١٨٩٣ تحت عنـوان « محاورة بين الأستاذ والتلميذ » .

(١٠) انظر على سـبيل المثال اللواء عدد ٣١ يناير ١٩٠١ وايضا عدد ٢٤ فبراير ١٩٠١ .

الدوائر •• ولعظيم فرحى وعلمى أن مايسرنى يشرح فؤادك أسرعت الى مكاتبتك[١١] » •

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل انتقد مصطفى كامل الخديو لموقفه المؤيد للشيخ على يوسف فى هذه القضية مما أدى الى القطيعة بينهمـا وقد أيد فريد مصطفى كامل فى كل هذه المواقف وسار على منـوالها طوال زعامته للحزب •

وقد يستغرب البعض هذه المواقف من كل من مصطفى كامل ومحمد فريد خصوصا وأن ثقافتهما فرنسية وأنهما تلقيا العلم بعض الوقت فى أوربا وكان من بين المعجبين بالمدنية والحضارة الأوربية •

يرجع الدكتور هيكل ذلك الى أن كل من مصطفى وفريد حـاول التقرب الى الشعب فيما هو عزيز لديه من عادات وأوهام لاسـتغلاله فى الغايات السياسية[١٢] لدرجة أن مصطفى كامل فضل أن يخسر الخديو على أن يخسر الرأى العام نضيف الى ذلك أ نقوة الاتجاه الاسـلامى لدى كل منهما جعلهما يناديان بألا تقلد مصر أوربا تقليدا أعمى بل يجب أن تظل متمسكة بمبادىء الاسلام هذا بالاضافة الى أن فكرة الاصـلاح الاجتماعى لدى كل منهما كانت تجىء فى المرتبة الثانية بعد تحقيق الجلاء•

واذا كانت التضحية بالنفس والنفيس وايثار الذات فى سـبيل الوطن احدى سمات الزعيم الناجح فان كلا من مصطفى وفريد قد تميز بهذه الصفة ولم ينظر أى منهما الى اتخاذ العمل السياسى وسـيلة لتحقيق النفوذ والجاه والأدلة على ذلك متعددة نذكر منها :

بالنسبة لمصطفى كامل فرغم أنه كان قيد اسمه فى جدول المحامين

---

(١١) على فهمى كامل : رسـائل مصرية فرنسية . القاهرة ١٩٠٩ ص ١٥٥ ـ ١٥٦ .

(١٢) د . محمد حسين هيكل : شخصيات مصرية وغربية ص٥٦ .

وقررت لجنة انتخاب المحامين قبوله[١٣] فانه لم يحترف المحاماه بـــل تفرغ لقضية واحدة هى قضية مصر ، ورغم أنه كان ضعيف الصـــــحة وفى حاجة الى الراحة فانه لم يعط لبدنه حقه من الراحة بل واصــــل الجهود فى سبيل مصر ، وأخذ على عاتقه مهمة ايقاظ الشعور الوطنى ، وبث الدعاية للقضية المصرية فى الخارج فواصل حملاته ضد الاحتلال ، ولم تغريه باريس بمفاتنها وجمالها بل كان يقطع شوارعها وحواريها ليلحق سياسيا قبل أن يترك مكتبة أو خطيبا قبل أن يقف على منصة الخطـــابة ليشكو اليه أحوال مصر فى ظل الاحتلال[١٤] ورغم أنه حورب فى شخص أقرب الناس اليه وهو أخوه ليعدل عن موقفه فكان رد مصطفى أنه مهما حورب فى شـــخصه أو شخص أقرب الناس اليه فان ذلك لم يحل دون جهاده ، ولما طلب السير كامبل بانرمان رئيس الوزارة البريطانية من مصطفى كامل تكوين وزارة بمعرفته رفض قائلا « ان وطنيتى تفرض على رفض كل مركز فى الحكومة طالما ظل الاحتلال جاثما على صدر مصر[١٥] » يضاف الى ذلك أنه عندما علم مصطفى كامل برغبة فريد فى تأليف لجنـــة بقصد عمل اكتتاب عام لدعوته الى وليمة وتقديم هدية له بعد جهوده التى بذلها فى الخارج من أجل مصر بعد احداث دنشواى اقترح مصطفى كامل تحويل هذه الهدية لغرض آخر قائلا ان « خير هدية اقترح عليكم تقديمها للوطن العزيز والأمة المصرية أن تقوم اللجنة التى شكلت بدعوة الأمة كلها ، وطرق باب كل مصرى لتأسيس كلية أهلية تجمع أبناء الفقـــراء والأغنياء على السواء[١٦] » .

هذا عن بعض تضحيات مصــــطفى كامل من أجل مصر . أما عن

---

(١٣) المؤيد فى ٣١ ديسمبر ١٨٩٤ .

(١٤) على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا . الجزء السادس ص ١٢٦ .

(١٥) احمد رشاد : مصطفى كامل . حياته وكفاحه ص ٣٢٣ .

(١٦) مذكرات محمد فريد . ملف رقم (١) خطاب مرسل من مصطفى كامل الى محمد فريد بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٩٠٦ ص ١٣ .

تضحيات فريد فهى كثيرة نذكر منها على سبيل المثال تضحيته بمنصبه فى النيابة حيث استقال من وظيفته بعد موقفه الوطنى من قضية التلغراف ثم تضحيته بعمله فى المحاماة لكى يتفرغ للجهاد ، وتضحيته بأمواله لمساندة الحركة الوطنية بأن باع كل مايملكه من أراض زراعية بعد أن تولى رئاسة الحزب الوطنى(١٧) .

وكما رفض مصطفى كامل الاشتراك فى الوزارة رفض أيضا فريد ذلك عندما عرض عليه محمد سعيد باشا الاشتراك فى وزارته قائلا « كيف تطلب منى أن أشترك فى حكم البلاد فى ظل الاحتلال ، وأنا أجاهد الاحتلال ؟ وكيف يتفق النقيضان(١٨) » .

وقد تكررت هذه المحاولة مع فريد بعد ذلك فعقب مؤتمر بروكسل فى أكتوبر ١٩١٠ قابل فريد فى باريس مبعوثا من قبل الحكومة الانجليزية يعرض عليه احدى الوزارات ومساعدته ماليا بعد أن تحرج مركزه المالى فكان رد فريد الرفض قائلا « ان ضياع ثروتى لا يؤثر على مبادئى ، وانى أرفض أى مركز فى الحكومة مادام الانجليز فى مصر(١٩) »

ولما عرضت الحكومة العثمانية على فريد بعض المناصب و منها عميد كلية الحقوق بالاستانة اعتذر حتى يحتفظ باستقلاله فى جهاده بقوله « اننى لم أخرج من بلادى للبحث عن وظيفة انما خرجت لخدمتها ، وسأبقى كذلك حتى أموت(٢٠) » .

يضاف الى ذلك أن فريدا ضحى براحته وحريته ، فاستهدف للسجن والنفى ، وكان يتلقى المحن والشدائد بكل رضا فكان رجل مبادىء لم يتغير مهما قاسى فى سبيل المحافظة على مبادئه فقد ضحى بثروته

---

(١٧) مذكرات محمد فريد . مظروف رقم ٣٠ .
(١٨) الرافعى : محمد فريد ص ٤٥٤ .
(١٩) نفسه .
(٢٠) الهلال : مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى تحت عنوان « مثال البذل والجهاد محمد بك فريد » ص ٣٣١ .

من أجل الحركة الوطنية حتى أصبح المال قليلا معه فلم يجد العنـاية الطبية الكافية عند اصابته بمرض الاستسقاء لعدم توافر المال اللازم لعلاجه كما ركب القطار لأول مرة فى حياته فى الدرجة الثالثة وهو بأوربا للدفاع عن حقوق مصر رغم برد الشتاء وذلك لقلة النقود معه(٢١) ووصل فريد الى أقصى حالات الضنك بسبب قيام الحرب الأولى ، وانقطـاع المورد المالى الذى كان يصله من أسرته لدرجة أنه لم يجد قوت يومـه الا بصعوبة ، كما أنه لم يملك ثمن الدواء ، ومع ذلك لم يعرف فريد فى الوطنية لينا أو هوادة ، ولم يضعف أمام الوعيد ولم يعبأ بأى وعود •

وبما أن الزعيم الناجح هو الذى يعى متطلبات مجتمعه ، ويحاول النهوض بشعبه فان كلا من مصطفى وفريد اهتم بتعليم الشعب المصرى ، واستنهاض همته وتذكيره بعزته القومية وكرامته الوطنية فبعد أن رأى مصطفى كامل عقم سياسة الاقتصار على نشر الدعوة فى أوربا وحـدها والاعتماد على الدول لاجلاء انجلترا عن مصر(٢٢) أحس بضرورة الاهتمام بتعليم الناس وتعريفهم بحقوقهم وواجباتهم خصوصا وأن الشـباب المتعلم هو أساس تقدم الوطن ، وان سياسة الاحتلال التعليمية تحـول بين تربية الناشئين والشباب تربية وطنية صحيحة فكان أساس مناهجها التربية المفعمة بالخضوع والمذلة (٢٣) ومن أجل ذلك ضاعف مصـطفى كامل من جهوده لتنشيط حركة التعليم فى البلاد فطالب بانشاء المدارس الأهلية بعد أن أغلقت سلطات الاحتلال بعض المدارس الحكومية وألغت مجانية التعليم كما طالب بأن يشمل التعليم أبناء الأسر الفقيرة وألا يقتصر على طبقة الأغنياء فقط •

ونتيجة لجهود مصطفى كامل فى هذا المجال افتتحت مدرسة ابتدائية

---

(٢١) مذكرات محمد فريد ملف رقم (١) ص ٢١ •

(٢٢) د • محمد حسين هيكل : المرجع السابق ص ٥٥ •

(٢٣) المؤيد : فى ١٨٩٨/١٠/٨ •

بالقاهرة حملت اسمه وذلك فى عام ١٨٩٩ ثم كون نادى المدارس العليا الذى كان أول تنظيم للطلاب وخريجى المدارس .

وقد سار فريد على منوال مصطفى كامل فى الدعوة لنشر التعليم فقد طالب بنشر التعليم الابتدائى بين كافة طبقات الشعب فقيره وغنيه وأن يكون هذا التعليم الزاميا ومجانيا لكل مصرى ومصرية كما تبنى فريد مع نادى المدارس العليا فكرة انشاء مدارس ليلية لتعليم العمال ومن يرغب من الفقراء مجانا ، وقد عرفت هذه المدارس باسم مدارس الشعب ، وعهد بالتدريس فيها الى رجال الحزب وأنصاره .

هذا عن دور مصطفى كامل وفريد نحو التعليم العام أما عن دورهما نحو التعليم الجامعى فالمعروف أن مصطفى كامل نادى بانشاء جامعة بأموال الأمة تتيح للمصريين ابراز مواهبهم ورفع شأنهم كما سار فريد على منوال سلفه وزاد على ذلك أنه كان ضمن الأعضاء المؤسسين للجامعة الأهلية وعضوا بمجلس ادارتها وسكرتيرا للجنة انشاء الجامعة وضمن المساهمين من أجل انشائها فقد اكتتب بمائتى جنيه ، وبمثل هذا المبلغ سنويا .

هذا عن أوجه الاتفاق بين مصطفى كامل وفريد ، وقبل أن انتقل الى أوجه الاختلاف بينهما ينبغى أن نذكر أنه اذا كانت احدى سمات الزعيم السياسى مساومة الآخرين ومراوغتهم من أجل الحصول على مطالبه ومطالب شعبه فان كلا من مصطفى وفريد لم يستعمل هذا الأسلوب فى كفاحه بل كانا واضحين فى مطالبهما دون لف أو دوران .

أما بالنسبة لأوجه الاختلاف بين الزعيمين فنجد أنه بالرغم من أن مصطفى وفريد كانا متفقين فى أساسيات حركة الكفاح الوطنى فان الظروف السياسية التى لازمتهما وبوجه خاص أثناء زعامة كل منهما للحزب الوطنى حتمت على كل منهما اتباع سياسة مخالفة لسياسة الآخر فمع أن زعامة مصطفى كامل للحركة الوطنية كانت تمثل المرونة السياسية

فان زعامة محمد فريد كانت تمثل الصلابة العقائدية[٢٤] فمصطفى كامل كخطيب استطاع تحريك الجماهير واثارتها دون أن يقدم لها برنامجا فكريا واضحا [٢٥] ، وقد أتاح له رصيده السياسى استخدام الأسلوب المرن من أجل الوصول الى هدفه فلجأ الى الكتابة والخطابة فى التشهير بالاحتلال[٢٦] واستطاع أن يخاطب عدوه القوى باللغة الهادئة التى تستند الى العقل والمنطق ولم يلجأ الى الأساليب الثورية فى حركته

أما فريد فقد دفعته ظروف سياسة الوفاق وقلة رصيده السياسى بالاضافة الى الخلافات التى نشبت داخل الحزب الوطنى بعد وفاة مصطفى كامل الى التشدد فى مواقفه واللجوء الى تحويل المجتمع الى قوة ضاربة فانتقل من الخطابة مع المثقفين وطلاب المدارس الى تنظيم الحزب وتطويره ومد فروعه الى الأقاليم كما لجأ الى القوى الاجتماعية الأخرى القادرة على مقاومة الاحتلال بالعنف مثل العمال والفلاحين يضاف الى ذلك أن فريد دعا الى المظاهرات الشعبية المنظمة للمطالبة بحق مصر فى الدستور فكان يجتمع فى حديقة الجزيرة عشرات الآلاف ثم يسيرون الى قلب القاهرة هاتفين بمطالبهم مشتبكين بالبوليس مضحين بالعشرات [٢٧] فقد رأى فريد أن الزعيم الناجح هو الذى يعتمد على كافة طبقات شعبه فى حركة الكفاح وهنا يبرز لنا تناقضا غريبا وهو أنه بالرغم من أن مصطفى كامل ينتمى الى طبقة الفلاحين وصغار الموظفين وفريد ينتمى الى الطبقة الأرستقراطية فان موقف كل منهما من الفلاحين والعمال كان على عكس انتمائهما الطبقى فقد حصر مصطفى جهوده فى أول الأمر على الطبقة المثقفة فى المدن ، ولم يجذب اليه طبقة العمال والفلاحين ، ولم يكن لهم فى مقالاته أو فى برنامج حزبه شأن كبير ، كما أن دعوته للالتفاف

---

(٢٤) د . يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر ص٨٥ .

(25) Safran, Nadav : Egypt In search of Political community pp. 62 - 101.

(٢٦) على فهمى كامل : المرجع السابق جـ١ ص ٢٢٧ .

(٢٧) أحمد بهاء الدين : أيام لها تاريخ . القاهرة — روزا ليوسف ص٧٣

حول الدولة العثمانية جعلت الفلاحين يبتعدون عنه بعض الوقت حتى وقعت أحداث دنشواى فانضم الفلاحون اليه وتغنوا بأعماله • أما فريد فقد فطن الى ضرورة جذب العمال والفلاحين اليه منذ بدء زعامته فأصبح رجلا جماهيريا يتسم بطابع البساطة ، ويفضل العيش بين الجماهير ومشاكلها[٢٨] فبدأ بالربط بين حركة المثقفين وطبقة العمال والفلاحين حتى يتحول المجتمع المصرى الى قوة ضاربة فى مواجهة الاحتلال •

وقد اهتم فريد بأحوال العمال ، وطالب بوضع قوانين لحمايتهم وتحديد عدد ساعات العمل لهم ، كما اهتم بالنقابات والأندية العمالية لترقية أحوال هذه الطبقة والدفاع عن مصالحها ومنع استغلالها فانشئت فى عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال فى مصر وهى نقابة عمال الصنائع اليدوية •

أما عن الفلاحين فقد طالب فريد بانشاء نقابات زراعية تحميهم من جشع المرابين ، وتعمل على ترقية أحوال الزراعة ، وتحسين أحوال الفلاح المصرى الذى وصفه فريد بأنه أتعس فلاح فى العالم •

وهكذا كان لاهتمام فريد بمشاكل العمال والفلاحين أكبر الأثر فى زيادة رصيده الشعبى فى الكفاح الوطنى وهذا مالم يتوفر لسلفه مصطفى كامل ومع أن فريدا كان أقرب فى عثمانيته من ناحية الدم والصلة والقرابة من مصطفى كامل فان فكره كان أكثر مصرية من مصطفى كامل الذى كان شديد الامتزاج بالعثمانية فمزج عقيدته الوطنية بعقيدته الدينية ويكفى للتدليل على ذلك أن فريدا أحدث تغييرا فى مبادىء الحزب الوطنى العشرة بعد وفاة مصطفى كامل لدحض الاتهامات التى نسبت للحزب بتغليب ولائه التركى على ولائه المصرى فعدل المبدأ الأول للحزب من « استقلال مصر كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات

---

(٢٨) عصام ضياء الدين • الحزب الوطنى والنضال السرى • رسالة ماجستير غير منشورة ص ١٠٩ •

السلطانية ذلك الاستقلال الضامن عرش مصر لعائلة محمد على والضامن للاستقلال الداخلى للبلاد » ليصبح استقلال مصر مع سودانها استقلالا تاما غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال(٢٩) » .

يضاف الى ذلك أن فريد رفع شعار مصر للمصريين فى أحرج ظروفه خصوصا بعد خروجه من مصر فقد وضع على جاكتته شارة مرسوم عليها أبو الهول ومكتوب عليها مصر للمصريين مما أثار الأتراك وهددوه اما أن ينزع هذه الشارة من على صدره أو أن يغادر الاستانة فآثر فريد مغادرة العاصمة العثمانية على خلع شارته .

حقيقة أن مصطفى كامل كان له هدفه من التقرب الشديد للعثمانيين ، ولكنه أيضا كانت له مواقف فضل فيها المصلحة العثمانية على مصلحة مصر ويكفينا أن نذكر موقفه من مسألة طابة واذا كانت ملكة الخطابة ، والقدرة فى التأثير على الجماهير احدى سمات الزعامة فان مصطفى كامل كان خطيبا بارعا فى الارتجال اذا خطب الناس بعباراته البليغة وبيانه الواضح وحججه المدعمة بالمنطق والأسانيد لذلك كان قادرا على استمالة الجماهير واقناعهم كما كانت كلماته تعبيرا حيا عما يجيش فى صدور أبناء وطنه .

أما فريد فقد كان يفتقر الى هذه الصفة من سمات الزعامة فانه لم يكن خطيبا فى بلاغة مصطفى كامل بل كان غالبا مايتلو خطبه(٣٠) .

وتبدو ديمقراطية فريد واضحة فى رفض اختياره رئيسا للحزب

---

(٢٩) الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مصطفى كامل . بحوث القيت فى الندوة التى أقامتها الجمعية بمناسبة مرور مائة عام على مولده ١٨٧٤ — ١٩٧٤ بحث للدكتور يونان لبيب . تحت عنوان :« مصطفى كامل وتأسيس الحزب الوطنى » ص ١٠٠ .

(٣٠) محمد على علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية . مخطوط ص٢٨٩

مدى الحياة كما حدث مع مصطفى كامل فطالب بتعديل لائحة الحزب التى تقضى بانتخاب الرئيس مدى الحياة ، وان يقتصر انتخابه على فتـــرة محددة ولكن ذلك الموقف من فريد لم يستمر طويلا فبعد انتهاء فترة الثلاث سنوات الأولى لزعامة فريد للحزب الوطنى عقدت الجمعية العموميـــة للحزب اجتماعا انتخبت فيه فريدا رئيسا للحزب مدى الحياة ، ولم يعترض فريد على ذلك بعد أن اتضح له ضرورة استمرارية الزعامة فيه باعتبار أن استمراريته فيها هى استمرار لمبادىء الحزب[٣١] •

أما بالنسبة لعلاقة كل من مصطفى وفريد بالخديو فقد كان هناك اختلاف واضح بين كل منهما فى علاقته به فقد اعتمد مصطفى كامل على الخديو فى امداده بالمصروفات الكبيرة التى يتطلبها العمل الوطنى الذى تصدى له خصوصا وأن نشأته الاجتماعية المتوسطة لم تمكنه من مقابلة هذه المصروفات مما أوجد نوعا من العلاقة الخاصة بين الرجلين[٣٢] وجعل مصطفى كامل يرتبط بالخديو فى بعض المواقف أحيانا ، ورغم ذلك فان علاقة مصطفى كامل بالخديو لم تستمر على هذا المنوال طويلا خصوصا بعد أن رأى ضرورة استقلال الحركة الوطنية عن الخديو نتيجة للسياسة المتقلبة التى كان يتبعها تجاهها •

أما فريد فانه لم يرتبط بالخديو بأية روابط تقيد من حركته أو تفرض عليه مواقفا معينة ، فبحكم انتمائه لطبقة كبار الملاك استطاع امداد العمل الوطنى بالمال دون أن يلتزم بأى موقف مع الخديو ، لذلك اتخذ طابع الخلاف بينه وبين الخديو أبعادا واسعة نتيجة لرفضه ايجاد علاقة معه شبيهة بالعلاقة التى كانت قائمة بين الخديو ومصطفى كامل •

لقد ورث فريد مبدأ معارضة التعامل مع الخديو من لطيف باشــا

---

(٣١) د . يونان لبيب : المرجع السابق ص ٩٤ •

(٣٢) د . يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر ص ٨٤ •

سليم الذى كان يرى فى الخديو رجلا أنانيا يفضل منفعته الشخصية على الصالح العام[٣٣] •

مما سبق يتضح أنه اذا كان الخديو قد أمد مصطفى كامل بالمال فان ذلك لم يحدث مع فريد حتى فى أحرج اللحظات الا فى أواخر حياته ، فمع أن فريد نفى الشائعات التى قيلت بأن الخديو ورئيس الوزراء محمد سعيد قد أرسلا اليه ثلاثمائة جنيه لمساعدته على الخروج من مصر ، واستغرب مثل هذا الأمر بقوله فى رسالة له الى الخديو : « انى أترفع عن قبول أية مساعدة منكم ولو كنت فى أحط دركات الفقر •• وانى لا أقبل منكم أية مساعدة مادامت مهمتى هى الجهاد فى تحرير البلاد من الانجليز ومن كل من يعاونهم على توطيد أقدامهم فى مصر كائنا من كان[٣٤] » •

ومع ذلك فان الظروف التى أحاطت بفريد فى أواخر أيامه جعلته يقبل مساعدة الخديو له بالمال ، ويبدو ذلك واضحا فيما كتبه فى مذكراته تحت عنوان « من أين أعيش » أنه أخذ نقودا من الخديو ، ولا عيب فى ذلك« لأنه خديوينا الشرعى ، ولا يعتبر أخذ الفلوس منه خيانة[٣٥] » •

يضاف الى أوجه الاختلاف السابقة بين مصطفى كامل وفريد أن مصطفى كامل جمع بين زعامة الحزب وادارة جرائده واستطاع أن يديرها بكفاءة أما فريد فقد تفرغ لقيادة الحزب وترك ادارة اللواء

---

(٣٣) مذكرات محمد فريد • الجزء الأول — القسم الأول ص ٢ •

(٣٤) نفسه ص ٢٣ — ٢٤ •

(٣٥) نفسه : ملف رقم ٧ ص ١٩٦ •

للشيخ عبد العزيز جاويش ، كما أن جريدتى الحزب الانجليزية والفرنسية قد أغلقتا •

هذا عن دور مصطفى كامل ومحمد فريد فى زعامة الحزب الوطنى وأوجه الاتفاق والاختلاف بينهما ، والتى يتضح منها أن كلا منهما كان مثالا للتضحية والاخلاص من أجل القضية الوطنية فقد عبر كلاهما عن ارادة الأمة المصرية خير تعبير ، وقام بتوجيه الجماهير المصرية فكـريا ونفسيا ، وأضاء لهم الطريق الذى مهد لقيام ثورة ١٩١٩ •

مصادر ومراجع البحث

(أ) وثائق غير منشورة :

دار الوثائق القومية بالقلعة .

أولا : تقارير الأمن العام — الداخلية تحت عنوان « عرائض وطلبات من الأهالى بانشاء مجلس نيابى ١٩٠٨ .

ثانيا : مذكرات غير منشـــورة :

١ — محمد فريد : مذكراتى بعد الهجرة ١٩٠٤ — ١٩١٩

٢ — محمد على علوبة : ذكريات سياسية واجتماعية .

(ب) المراجع العربيـــة :

١ — أحمد بهاء الدين

أيام لها تاريخ . القاهرة — روز اليوسف . العـــدد الثالث أبريل ١٩٥٤ .

٢ — أحمد رشـــاد

مصطفى كامل حياته وكفاحه . القاهرة

٣ — عاطف فؤاد (الدكتور)

الزعامـــة الســـــياسية فى مصر . عرض تاريخى وتحليـــل سيسيولوجى . القاهرة — دار المعارف ١٩٨٠

٤ — عبد الرحمن الرافعى

(أ) مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية . القاهرة — النهضة المصرية ١٩٤٨ .

(ب) محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية . القاهرة — النهضـــة المصرية ١٩٤٨ .

٥ ـ **عبد العزيز حافظ دنيا**

رسائل تاريخية من مصطفى كامل الى فؤاد سليم الحجـــارى
القاهرة ـ النهضة المصرية ١٩٦٩ •

٦ ـ **عبد المنعم الجميعى (الدكتور)**

عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعيـــة
القاهرة ـ دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠ •

٧ ـ **عصام ضـــياء الدين**

الحزب الوطنى والنضـــال السرى ، رسالة ماجستير غير منشورة
١٩٧٢

٨ ـ **على فهمى كامل**

(أ) رسائل مصرية فرنسية • القاهرة ١٩٠٩

(ب) مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا القاهرة ١٩٠٨

٩ ـ **محمد حسين هيكل (الدكتور)**

شخصيات مصرية وغربية • القاهرة ـ روز اليوسف

١٠ ـ **محمد على الغتيت**

الزعيم ـ العبقرية والزعامة السياسية • القاهرة ١٩٧٤ •

١١ ـ **يونان لبيب (الدكتور)**

الحياة الحزبيـــة فى مصر فى عهـــد الاحتـــلال البريطانى •
القاهرة ـ الأنجلو المصرية ١٩٧٠ •

(جـ) المراجع الأجنبية :

Safran, Nadav :

Egypt in search of Political community . 1961.

(د) الدوريات :

١ ــ اللواء : يناير وفبراير ١٩٠١

٢ ــ مجلــة كلية الآداب : المجلد العشرين ــ الجــزء الأول • مايو ١٩٥٨ •

٣ ــ مجلة المدرسة : العدد الأول فبراير ١٩٨٣ •

٤ ــ المؤيد : ديسمبر ١٨٩٤ أكتوبر ١٨٩٨ •

٥ ــ الهــلال ١٩٣٠

مصطفى كامل وتأسيس الحـزب الوطنى

هنـاك أناس خلقوا للكفـاح يستعذبونه ويستطيبون كل شىء فى سبيله يرون فيـه أداء للواجب وارضـاء للضمير وسبيلا ناجعـا لاعلاء كلمة الحق واصـلاح أمور بلادهم ومن هؤلاء الزعيم الوطنى الشـاب مصطفى كامل موضوع محاضرتنا اليوم هو وحزبه •

ولعـل أهم عمل قام به مصطفى كامل من أجل مصر هو أنـه أعاد للمصريين الثقـة فى أنفسهم بعـد هزيمة العرابيين فى التـل الكبـير وبعـد نجاح الاحتـلال فى احـداث حالة من البلبـلة والاضطراب فى تفكير المصريين تسبب عنها ايجـاد نوع من القنوط واليأس والحيرة استولت على قلوبهم والأمثلة على ذلك كثيرة منهـا المثل القـائل « اتفق المصريون على ألا يتفقوا » ومنهـا ما قاله شاعر النيل حافظ ابراهيم :

ان عشرين حجـة بعـد خمس	علمتنـا السكوت مهمـا تمـادى
أمـة النيـل أكبرت أن تعـاد	من رماهـا واشفقت أن تعـادى
ليس فيها الا كلام والا حسرة	بعـد حسـرة تتهـادى
لا جرى النيل فى نواحيك يا مصر	ولا جـادك الحيـا حيث جـادا
أأنت انبت ذلك النبت يا مصر	فأضحى عليـك شـوكا قتـادا

(*) القى ضمن محاضرات الموسم الثقافى للجمعية فى ١٩٨٢/١١/١٤.

وكان ما فعله مصطفى كامل هو أنه ذكر المصريين بماضيهم وجـلال تاريخهم وسـما بالوطنية المصرية الى مرتبة العقيـدة حتى أصبحت أسلوبا فى الكفـاح وكان طريقه الى ذلك الأسلوب السهل المؤثر على سامعيه لدرجـة أن خطبه جرت على ألسنة النـاس وكأنها أناشـيد وأغان ، وساعده على ذلك أسلوبه الوجـدانى الذى اعتمـد على الجمل الضخمة التى رددتهـا الجماهير « لا معنى للحياة مع اليـأس ولا معنى لليـأس مع الحيـاة » .

« بلادى بلادى ، لك حبى وفؤادى لك حيـاتى ووجودى ، لك دمى ونفسى لك عقـلى ولسانى لك لبى وجنـانى فأنت أنت الحيـاة ولا حياة الا بك يا مصر » .

بهـذا الأسلوب الوجـدانى ، وبهـذه القوة الخطابيـة خاطب مصطفى كامل شعور الشبيبة المصرية واستنهض همتهم يضـاف الى ذلك ما كان يكتبه من مقـالات تتقـد بالوطنية بالجرائد خاصـة فى جريدة اللـواء .

بكل ذلك استطاع مصطفى كامل أن ينهض بأعبـاء دعوته متقدما الى الأمام رافعـا علم النهضة ومرددا نشـيد الأمل بصوت تهـتز له الأفئدة حتى لقـد وصفه لطفى السـيد بأن شعاره الوطنية وغرضه الوطنية وكلماته الوطنية وكتابتـه الوطنية وحياته الوطنية حتى لبسها ولبسـته فصـار بينهما تلازم مستمر فى كافة المواقف .

ولعـل أدق تحليل لدور مصطفى كامل فى قيادة الحركة الوطنيـة هو ما ذكـره الأستاذ محمد شفيق غربال مؤسس المدرسـة الأكاديمية للتـاريخ الحديث فى مصر وصـاحب اليـد الطولى فى انشـاء هـذه

الجمعية الموقرة اذ يقول « أبسط استجابة كانت استجابة مصطفى كامل تقوم على قاعدة خالية من كل تعقيد وفى كل شطاره لمصر عدو واحد هو الاحتلال ، ولمصر مقصد واحد وهو الجلاء وما عدا ذلك فتفصيل له وقته .. ومصدر العقيدة أيضا بسيط كل البساطة فكانت حملة مصطفى كامل تستخدم ثلاث وسائل هى :

١ — ألا يأس مطلقا ولا تصدقوا أيها المصريون كلام الانجليز أو كلام مأجوريهم بأن مركزهم فى مصر لا يتزعزع ولن يتزعزع .

٢ — لا تثقوا مطلقا بوعودهم ولا تركنوا الى محاولاتهم تبسيط مركز البلاد الدولى بل تذرعوا بتلك العناصر الدولية والعثمانية التى يكرهها الانجليز ويكفى كرههم لها لتمسككم بها .

٣ — لا تصدقوا أن الاحتلال يمكن أن يبطن خيرا لكم أو لبعضكم فهو يفعل ذلك ليفرق كلمتكم ويجعل من بعضكم أعداء البعض الآخر [١] .

ولقد اتبع مصطفى كامل سياسة مترامية الأطراف تعتمد على أساليب متعددة من أجل اجلاء الانجليز عن مصر فلم يترك وسيلة لخدمة القضية المصرية الا والجأ اليها فاعتمد على فرنسا والدولة العثمانية كما وطد علاقته بالخديو فى أول الأمر خصوصا وأن الحركة الوطنية لم تكن قادرة وحدها على الصمود فى وجه الاحتلال ، ولما يئس من هؤلاء جميعا لم يجد خير وسيلة أمامه سوى الاعتماد على الرأى العام وتربيته .

---

(١) تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ص ٢٧

وبالرغم من أن فكرة تأسيس حزب لم تكن بعيدة عن ذهن مصطفى كامل ، وبالرغم من أنه كان يلم بطبيعة العمل الحزبى التى كان قد عرفها جيدا أثناء وجوده بفرنسا وتجواله فى أوربا فقد آثر ألا يكون البادىء بتكوين الأحزاب لقناعته بضرورة توحيد كافة القوى فى مصر لاجلاء المحتل الغاصب أولا ولأن انشاء أحزاب فى تلك الفترة ربما يؤدى الى تفتيت الجهود الوطنية وتصارعها ، واستمر مصطفى كامل متمسكا بهذا الموقف كما تمسكت به القوى الوطنية الأخرى لفترة من الوقت ، ولكن تطور الأحداث فى مصر ويأس الوطنيين من الحصول على مساعدات فعالة ضد الاحتلال من أوربا أو الدولة العثمانية أو من الخديو خصوصا بعد عقد الاتفاق الودى عام ١٩٠٤ وأزمة طابة ١٩٠٦ وأحداث دنشواى عام ١٩٠٦ أيضا كل هذا أدى الى ضعف الحركة الوطنية وانقسامها الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : ويشمل بعض كبار الملاك والمثقفين من اتباع الشيخ محمد عبده وكان هدفهم حماية مصالحهم بالتعاون مع الاحتلال بعد أن رأوا ثمار اصلاحاتهم فى الزراعة والرى •

والقسم الثانى : ويشمل أنصار الخديو وعلى رأسهم الشيخ على يوسف وكان هدفهم تحقيق الاستقلال الادارى ثم أقامه حكم نيابى مقيد بسلطة الخديو ، وكان هؤلاء ينتقدون سلطات الاحتلال نقدا معتدلا •

أما القسم الثالث : فكان فريق مصطفى كامل ، وكان يعتمد على المثقفين بوجه خاص (٢) وهو الذى حمل لواء المعارضة ضد الاحتلال

---

(٢) د. المسدى : محاضرات فى تاريخ مصر المعاصر .

ومن هـذه الأقسام الثلاثة تكونت الاحـزاب المصرية الثـلاثة الكبرى وهى حزب الأمـة وحزب الاصـلاح على المبادىء الدستورية والحزب الوطنى •

وقـد يجرنا الحديث عن الحزب الوطنى الى أن نتسـاءل هـل عبـارة الحزب الوطنى جـديدة أم كانت معروفة قبل مصطفى كامل •

الواقع أن تعبير الحزب الوطنى كان معروفا فى مصر قـبل ظهور مصطفى كامل بعشرات السنين فقـد تردد هـذا الاسم أكثر من مـرة فى كتابات وخطب الوطنيـين المصريين وغيرهم كمـا أطلق على بعض الهيئـات الوطنية سواء السرية منها أو العلنية فعندما أحس المصريون بالخطر على مصير بلادهم ، وفكروا فى التخلص من الخـديو اسماعيل الذى لا يحسن تصريف شئون البـلاد تم الاتفـاق بين الجمعية السرية التى تكونت من ضباط الجيش [٣] عام ١٨٧٦ وجمعية حلوان التى تكونت فى أبريل ١٨٧٩ [٤] على تأليف « حزب خفى من العظماء والكبراء والعلماء سموا أنفسهم بالحزب الوطنى ، وقـد أتيح لعرابى تزعم هـذا الحزب بجناحيه المدنى والعسكرى [٥] •

---

(٣) كون هـذه الجمعية على الروبى فى عام ١٨٧٦ أى بعد هزيمـة الجيش المصرى فى حرب الحبشـة .

للتفاصيل أنظر : الياس الايوبى . تاريخ مصر فى عهد الخـديو اسماعيل باشـا ١٨٦٣ — ١٨٧٩ المجلد الثانى ص ٤٧٠

(٤) جمعية سرية ضمت شريف باشا واسماعيل راغب ومحمد سلطان وغيرهم من الشخصيات الرافضة لسياسة رياض باشا .

(5) Ninet : Arabi Pacha . Egypt 1800 — 1883 Paris, 1884.

وعندما ناشـد الأفغانى أبناء مصر بالاقبـال على العلوم والمعارف أوضح لهم أن حزبهم الوطنى لا تحصل له القـوة ولا يكون له البقاء الا اذا استقرت فيهم المعـارف (٦) .

وعنـدما اشتد التآمر على الثورة العرابية وأقال الخـديو وزارة البـارودى التى كان عرابى فيها وزيرا للحربية ، تمسـك عرابى بمركزه كرئيس للحركة الوطنية وأعلن أنه لم يستعف من رئاسة الحزب الوطنى رغم استعفائه من نظارة الجهـادية (٧) .

وعندما سـافر مصطفى كامـل الى باريس عام ١٨٩٥ للدعـاية للقضية المصرية صرح بأنه موفد من قبل الحزب الوطنى علمـا بأن هـذا الحزب لم يكن له وجـود فى تلك الفـترة .

وعنـدما تأسست جمعية سرية لمناهضة الاحتـلال تحت رئاسـة الخـديو فى عام ١٨٩٦ عبر عنهـا مصطفى كامل بأنها حزب سرى مخلص للغـاية وعلى استعداد للتضحية بذاته فى سبيل الوطن المقـدس (٨)

وهـذا الحزب أطلق عليـه اسم الحزب الوطنى ، وقـد أكـد لطفى السيد ذلك بقوله « كونا تحت رعاية الخديو عبـاس جمعية سرية

---

(٦) جريدة مصر : العدد ٤٧ فى ٢٤ مايو ١٨٧٩

من خطبة جمال الدين الأفغانى فى قاعة زيزينيا بالاسكندرية .

(٧) محافظ الثورة العرابية : محفظة رقم ٨ دوسيه ٥٣ ملف ٢٢٢ وثيقة رقم ١١٩١ الثورة العرابية — قضـايا المتهمين .

(٨) على فهمى كامل : رسائل مصرية فرنسية ص ٣٩

فى بادىء الأمر ، وكانت هــذه الجمعية هى الحزب الوطنى [٩] .

لماذا أطلق تعبير الحزب الوطنى على هــذه الهيئات السياسية رغم أنهــا لم تكن حزبا سياسيا بالمعنى المفهوم فالحزب لا بد أن يقابله أحزاب أخــرى تتعارض فى المبــادىء والبرامج على النحو الذى نعهــده فى الأحــزاب السياسية .

يذكر عرابى أن مصر مسكونة بأجناس مختلفة وكل جنس منها يعتبر حزبا كمــا أن لأهل البــلاد حزب قائم بذاته هو الحزب الوطنى [١٠]

ويذكر مصطفى كامل أن الحزب الوطنى موجود فعــلا قبل اعلانه بثلاثة عشر عاما فهو وان لم يظهر بشكل نظامى وبلائحــة ولجنة ادارة فقــد ظهر بأعمــاله واتفــاق أعضــائه على خدمة البــلاد بكل قوة [١١] وأن هــذا الحزب هو حزب الأمة كلهــا الذى أيقظ العواطف الوطنية فى البــلاد [١٢] ويذكر الأستاذ عباس محمود العقــاد أن تسمية تلك الهيئــة السياسية بالحــزب ترجع الى أن أفرادها يواجهون جمــاعة الأتراك والشراكســة والألبانيين والأرمن الذين كانوا يتبعون الدولــة العثمــانية وينفردون بولاية الحكم فى الوظائف الكبيرة وأكثر الوظائف الصغيرة ، لذلك فتعبير الحزب الوطنى على هــذا الأساس كان هو حزب الفــلاحين أو حزب الأمة المصرية [١٣] .

---

(٩) اللواء الجديد : العدد الخامس فى ١٩٤٤/١٢/١٠ « حديث لطفى السـيد باشا » .

(١٠) محافظ الثورة العرابيــة . محفظــة رقم ٨ ملف ٢١٢ محضر استجواب عرابى .

(١١) اللواء فى ١٠ اكتوبر ١٩٠٧

(١٢) مصطفى كامل : (المســألة الشرقية) القــاهرة ــ الطبعــة الأولى ١٨٩٨ ص ٢٥٩

(١٣) عباس العقــاد : محمد عبــده ص ١٧٨

والواقع أن اطلاق تعبير حزب على تلك الهيئات الوطنيـــة من الممكن الاستعاضة عنه بتعبير جبهـــة وطنية أو اتجـــاه وطنى بدلا من حـــزب لأنه لم يحمل مضمون الحزب أو ابعـــاده فقـــد كانت له أهـــداف عامة تعكس الآمال الشعبية ، ومع ذلك فقـــد كان يفتقـــد الى التنظيم اللازم للعمـــل الحزبى ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط فقـــد ظهرت أحزاب فى ظل الاحتـــلال كان لهـــا برامج وأطلق عليها اسم الحـــزب الوطنى قبل أن يؤسس مصطفى كامل حزبه مثل الحزب الوطنى الحـــر [١٤] الذى تأسس فى ٢٦ يوليو ١٩٠٧ برئاسة محمـــد وحيد الأيوبى ، وكان مناصرا للاحتـــلال ، ويرى أن رقى البلاد لم يتم الا على يديه كمـــا كان معاديا لمصطفى كامل وحركته .

وحزب آخر سمى بالحزب الوطنى أسسه حافظ عوض صـــاحب جـــريدة المنبر فى أغسطس ١٩٠٧ وكان شديد الولاء للاحتلال البريطانى أيضـــا ولكنه لم يستمر طويلا بل انضم الى حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية بعـــد ذلك .

وعلى كل حال فان فكرة تأسيس حزب بمفهوم حقيقى قـــد راودت مصطفى كامل قبـــل الاعلان عنـــه بمـــدة ، ففى عام ١٩٠٠ فكر فى اقامة حـــزب على غرار الاحزاب الأوربية وأوضح عن ذلك فى اللـــواء معربا عن أمنيته فى تأسيس هـــذا الحزب [١٥] ولكن خشيته من تفتيت الجبهـــة الداخلية جعله يحجم عن تنفيذ فكرته ، ولعـــله تعلم هـــذا الدرس من عبد الله النـــديم خطيب الثورة العرابية ، ومع ذلك فقـــد

---

(١٤) أطلق عليه حزب الاحرار فيمـــا بعد .

(١٥) اللواء فى ٢ يولية ١٩٠٠ تحت عنوان « حزب وطنى حر فى مصر »

ظلت فكرة تأسيس حزب تراود خيـاله فعندما اجتمع بالخديو فى خريف ١٩٠٦ اتفق معه على تأسيس الحزب الوطنى ، وكانت نقطة الخـلاف حوله هل سيكون الحزب سريا أم علنيـا ، وكان رأى الخـديو أن يكون سريا ثم انتهى الأمر بأن كان علنيا[١٦] ومع ذلك لم يسرع مصطفى كامل فى تكوين حزبه ، بل تريث فى الأمر حتى أواخر ١٩٠٧ خشـية تفتيت الجبهة الداخليـة ، ولكن ظهور حزبى الأمـة والاصلاح على المبادىء الدستورية قـد دفعـاه الى الاسراع فى تأسيس حزبه وقـد أوضح مصطفى كامل ذلك فى خطاب أرسله الى محمـد فريد قال فيـه « ان ظهور حزب الأمة المؤلف من أولئـك الذين خبرنا نفسيتهم وميلهم الى مسـايرة المحتلين وفقـا لمـا يسمونه سياسة اللين والتـدرج وان ما علمته كذلك من صاحب المؤيد عن تأليف حزب باسم « حزب الاصلاح » لخـدمة السراى ، هـذان الأمران يحتمـان علينا كل التحتيم أن نظهر حزبنـا الوطنى بالرغم منـا بمظهره الحقيقى حتى يعـلم العـالم كافة أن للوطن المصرى حزبا يطلب بعزيمـة صادقة الجـلاء والدستور أى أنه لا يقبل حكم الأجنبى ولا حكم الفـرد » ثم أوضح مصطفى كامل الأسباب التى تجعله لا يرغب فى تعـدد الأحزاب فقـال « نعم انى أرغب الآن كل الرغبة فى ظهور هـذا الحزب بحـال منتظمة بالرغم من وطنيتى التى ترى فى تعـدد الأحزاب حربا أهلية لا مندوحة منها ، حربا تعوق ولو الى حين ما نرمى اليـه من حرية واستقلال بتقوية مركـز المحتل لبـلادنا ولكن ما العمل ونحن لو سكتنا أمام هـذه الحال التى ما أوجدهـا الا دهاء جورست وقصر نظر المؤلفين لهذين الحزبين لفقدنا

---

(١٦) مذكرات محمـد فريد ، ملف رقم (١) الجـزء الأول — القسم الأول ص ١ .

كل شىء ولاصبحت الوطنية المصرية عدما فى عـدم بتغليب المبـادىء السقيمة عليهـا وتقاعس المخلصين لنصرتها وانمائهـا [١٧] ٠

وهكذا يتضح أن مصطفى كامل رغم امنيته فى أن يرى فى مصر حزبا وطنيـا منظمـا الا أنه خشى أن يبـدأ بهذه الخطوة حتى لا تنقسم الجبهـة الداخلية ، واستمر على هـذه السياسة حتى ظهر حزبا الأمة والاصلاح على المبـادىء الدستورية ، فاضطر الى أن يعلن عن حزبه حتى لا تضيع الأهـداف الوطنية وسط المتاهات الحزبيـة ففى الثانى والعشرين من أكتوبر ١٩٠٧ دعا مصطفى كامل الوطنيين لمؤتمر عـام بمسرح زيزنيا بالاسكندرية فلبى الدعوة عدد قدرته الصحف بين خمسة وسبعة آلاف ألقى فيهم مصطفى كامل خطبـة طويلة تحـدث فيها عن الحيـاة الوطنية فى مصر بعـد الاتفـاق الودى والتقـدم الذى أحرزه العمـل الوطنى وثقتـه الكبيرة فى أن المصريين قادرون على الوصول الى الاستقـلال ، كمـا أعلن عن قيام الحزب الوطنى ودعا أفراد الأمة الى الانضمـام اليـه [١٨] ٠

وقـد أحـدث ذلك الخطاب دويا كبيرا ، ونشرت الجرائد فقرات طويلة منـه وانهـالت للانضمـام للحزب من كل جانب ٠

وفى ٢٧ ديسمبر عقـدت أول جمعية عمومية للحزب بدار جريدة اللواء بالقـاهرة أطلق عليهـا اسم المؤتمر الوطنى وكان عدد الحاضرين ١٠١٩ مندوبا من كافة الطبقات يمثـل كلا منهم مئتـا عضو طبقا لقانون

---

(١٧) جوليت آدم : انجلترا فى مصر — ترجمة على فهمى كامل ص ٢٧٣

(١٨) الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٢٦٢

الحزب [١٩] ، وافتتح مصطفى كامل هـذه الجمعية العمومية بخطبة نوه فيهـا بأن الحزب الوطنى موجود منـذ وقت طويل ، وان ما يحـدث هو اعادة تنظيمـه ، كما أوضح أن الحزب الوطنى لم يكن حزبا سياسيا فحسب بل هو قبل كل شيء حزب حيـاة الأمة وانهاض لهـا ، كما أنه حزب يهتم بتعـليم سـائر طبقات الشعب ، ويرى أن استقلال البلاد هو أساس كل سعادة ويسعى للوفاق بين أفراد الأمة كمـا يقوم بتحسين حـال الفـلاح [٢٠] .

وبعـد خطاب مصطفى كامل انتخبه الحاضرون بالاجماع رئيسا للحزب الوطنى مدى الحيـاة ، وبعد التصديق على لائحة الحـزب قام الحاضرون بانتخاب الأعضاء الثلاثين للجنة الادارية الأولى للحزب [٢١].

والجـدير بالذكر أن الحزب الوطنى كان الحزب الوحيد — من الأحزاب الثلاثة الكبيرة — الذى التزم بنهج ديمقراطى فى تنظيمـه فقد بدأ من القـاعدة وتدرج الى القمـة كمـا هو متبعـا فى الأحـزاب الديمقراطية فرفض أن يفرض على أعضـائه لجنة ادارية معينة كمـا حـدث فى حزبى الأمة والاصـلاح بل ترك الأمر للجمعية العمومية التى قامت بانتخـاب أعضاء اللجنة الادارية المكونة من ثلاثين عضوا والتى قامت بدورها فى انتخاب اللجنـة التنفيذية للحزب المكونة من تسعـة أعضـاء [٢٢] الا أن ما يؤخـذ على الحزب أن انتخاب رئيسـه مدى الحيـاة أمر غير مفهوم فى الأحزاب الديمقراطية وهـذا هو ما أخـذه

---

(١٩) جوليت آدم : المرجع السابق ص ٢٧٣

(٢٠) نفســـه .

(٢١) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٦٧ .

(٢٢) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر فى عهـد الاحتـلال البريطانى القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٧٠ ص٥٧ .

سعد زغلول على الحزب الوطنى (٣٣) وما دفع محمد فريد بعد ذلك بتعديل هذه المادة وتجديد المدة التى ينتخب لها الرئيس بثلاث سنوات .

أما عن برنامج الحزب فقد تضمن مبادىء عشرة هى :

١ ـ استقلال مصر كما قررته معاهدة لندن ١٨٤٠ وضمنته الفرمانات السلطانية ذلك الاستقلال الضامن عرش مصر لعائلة محمد على والضامن للاستقلال الداخلى للبلاد وهو الاستقلال الذى تعهدت انجلترا رسميا باحترامه .

٢ ـ ايجاد حكومة دستورية فى البلاد بحيث تكون الهيئة الحاكمة مسئولة أمام مجلس نيابى تام السلطة كمجالس النواب فى أوربا .

٣ ـ احترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التى ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون، وقبول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائية ما دامت مصر مدينة لأوربا وما دامت أوربا تطلب هذه المراقبة .

٤ ـ انتقاد الأعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالأعمال النافعة والتشجيع عليها وارشاد الحكومة الى خير الأمة ورغائبها والاصلاحات اللازمة لها .

٥ ـ العمل على نشر التعليم فى انحاء الديار على أساس وطنى صحيح بحيث ينال الفقراء النصيب الأوفر منه ، ومحاربة الخزعبلات والترهات ونشر المبادىء الدينية السليمة الداعية للرقى وحث الأغنياء والقادرين على بذل كل المساعدات لنشر التعليم بتأسيس الكليات

---

(٣٣) مذكرات سعد زغلول ـ كراس رقم ٦ ص ٢٩١ ـ ٣٠٠ .

فى البـلاد ، وارسال الارساليات لأوربا وفتح المدارس الليلية للعمال والصـناع .

٦ ــ ترقيـة الزراعة والصناعة والتجارة ، وكل فروع الحيـاة ، والعمـل والجـد دراء نيل الأمة استقلالهـا العلمى والاقتصادى .

٧ ــ ارشـاد الأهالى بكافة الوسائل الممكنة الى حقـائق الأحوال وبث الشعور الوطنى فيهم ، ودعوتهم الى الاتحـاد والائتلاف وتمكين المحبـة بين عنصرى الأمة المسلمين والأقبـاط وتنبيههم الى واجبـاتهم نحـو بلادهم .

٨ ــ مساعدة كل مشروع يعود على القطر بالنجـاح والاجتهـاد فى تحسين الأحوال الصحية حتى يزداد عدد السكان فتزداد الأمة قوة على قوتهـا .

٩ ــ تقوية العـلاقات الودية بين تركياومصر من جهة ، وبين مصر والدول الأوربية من جهة أخرى ونفى كل تهمة عن مصر ، والعمل لايجاد أنصـار لهـا فى أنحـاء العـالم حتى تكون لهـا قوة أدبية ساميـة تساعدها على اعتراف الغـير بحقوقها الشرعية ، والتغلب على المساعى التى تعمل ضدهـا ويراد بهـا اخفاء الحقيقة (٢٤) .

وعنـد تحليل المبادىء التى ارتكن عليها الحزب الوطنى نجد أنهـا قريبة الشبه بالبرنامج الذى سـار عليه الوطنيون فى عام ١٨٨١ وأطلق عليه برنامج الحزب الوطنى المصرى خصوصا فى اعـلان ولاء كل منهما للدولة العثمانية ، وضرورة المحافظة على العلاقات الودية معها والارتكان فى ذلك فى مواجهة القوى الخارجية .

---

(٢٤) تقرير الحزب الوطنى عن سنة ١٩٠٧ القاهرة ــ مطبعـة اللواء ١٩٠٨ ص ٢١٦ ــ ٢٢١

ففى البنـد الأول من برنامج الحزب الوطنى المصرى ما نصـه « يرى الحزب الوطنى المحافظة على العلاقات الودية بين الحكومة المصرية والبـاب العـالى ، واتخاذ ذلك البـاب ركنا يستند عليه » ثم يعترف باستحقاق البـاب العالى لمـا يأخذه من أموال من الخـزانة المصرية وما يلزمه من المســاعدة بشرط المحافظة على الحقوق الوطنية ومقاومة من يحـاول اخضـاع مصر أو أن يسلب امتيازاتها الادارية التى منحتها الفرمانات ، وفى البنـد الأول من برنامج الحزب الوطنى الذى أسسه مصطفى كامل نجـد المطالبة بالاستقلال الذاتى لمصر فى ظل السـيادة العثمانية مما أثار البعض على مصطفى كامل خصوصـا جريدة المقطم التى اتهمته وحزبه بأنهم يعملون على استبدال الانجليز بالاتراك وبأنهم يفضلون الولاء للعثمانية على الولاء للمصرية ، وقامت بحمـلة شديدة على الحزب الوطنى ومؤسسه ممـا دفع مصطفى كامل الى دحض هـذه التهـم ، مبينـا ان الفرمانات السلطانية تثبت عدم شرعية الاحتـلال الانجليزى لمصر ، وان البـاب العـالى يحترم دائمـا استقلال مصر كمـا أنه ضـد أى تغيير للمعاهدات الدولية التى نظمت عـلاقة مصر بالدولة العثمانية [٢٥] .

ويرجع الدكتور هيكل اسباب تمسك الحزب الوطنى بهـذا البند فى حيـاة مصطفى كامل [٢٦] الى محاولته تفـادى معارضة القـانون أو أن ينسب اليه أحـد تهمة التآمر على النظام القـائم [٢٧] .

---

(٢٥) اللواء فى ٣١ اكتوبر ١٩٠٧ تحت عنـوان « الحـزب الوطنى والاستقلال » .

(٢٦) ادخـل الحزب الوطنى تغييرا على نص هـذا البند ليصـبح « استقلال مصر مع سودانها استقلالا تاما غـير مشوب بأية حمـاية أو وصـاية او سـيادة اجنبيـة أو أى قيـد يقيد هـذا الاستقـلال .

د. يونان لبيب : مصطفى كامل وتأسيس الحزب الوطنى ص ١٠٠ .

(٢٧) محمد حسين هيكل : تراجم مصرية وغربية . القاهرة — مطبعة السياسة ص ١٦١ .

ومع وجاهة هــذا الرأى فاننـــا اذا تفحصنا الخطبة التى ألقاها مصطفى كامل على مسرح زيزينيــا بالاسكندرية وأعلن فيها قيام الحزب الوطنى نجــده يذكر ما نصه « اننــا اذا خطبنــا الود لأمة أو لدولة فاننــا نعمــل كغيرنا ونتبع ناموس الطبيعـــة القــاضى بأن من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتناصرون » ومعنى ذلك أنه اذا كان مصطفى كامل قــد نادى بضرورة التمســك بالرابطة العثمانية فيرجع ذلك الى أنه رأى فى التعاون مع الدولة العثمانية ورقة سياسية ذات فاعليـــة ضد محاولات انجلترا اعــلان الحماية على مصر .

وحتى يحول دون استمالة انجلترا للسلطان العثمـانى وايقاعهـا بينه وبين مصر فليس من الحكمة أن ينادى مصطفى كامل بجلاء الاحتلال البريطانى وبالغــاء السيادة العثمانية معــا [٢٨] لأنه اذا فعــل ذلك سيثير غضب تركيــا ويجعلها تنضم الى جانب انجــلترا ضــد المصالح المصرية ، كمــا أنه رأى أن التخلص من الســيادة العثمانية كان أمرا هينــا بعــد التخلص من الاحتــلال يضاف الى ذلك أن الرأى العام فى مصر كان متمسكا بالخــلافة ، وكان يعتبر السلطان العثمانى خليفـــة المسلمين ، لذلك فان دعوة مصطفى كامل للتمســك بالخلافة كانت تساير روح العصر وتتفق مع رأى غالبيـــة المصريين [٢٩] .

وفى البنــد الثانى لكل من المنظمتين نرى هنــاك تشابها أيضــا فقــد نص برنامج الحزب الوطنى أيام عرابى على عدم عودة الاستبداد والاحكام الظالمــة ، واتبــاع حكم الشورى بواسطة مجلس شورى النواب واطلاق عنــان الحرية للمصريين ، ودعا برنامج الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل الى أن تكون الحكومة دستورية ومسئولة أمــام مجلس النــواب .

---

(٢٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٣٦٠ .

(٢٩) محمد على علوبه : ذكريات سياسية واجتماعية ص ٢٨٨ .

أما البنـد الثالث فنجـد فيه تشابها أيضا من ناحية احتـرام الاتفاقات والمعاهدات التى عقدت مع الدول الأوربية حتى تهـدأ خواطر أصحاب الديون فقـد نص برنامج الحزب الأول على احترام الاتفاقات الدوليـة خصوصا الديون الأجنبية وقبول استمرار المراقبـة الأوربية كمـا نص برنامج حزب مصطفى كامل على احـترام ارتباطات الحكومة بسداد الديون وقبـول مراقبة مالية كالمراقبة الثنائيـة ما دامت مصر مدينـة لأوربا •

يضـاف الى ذلك أن كل من الحزبين نادى بتعميم التعـليم والعمل على نشر المعارف وتقوية عنصر الوئام والمحبـة بين كافة الأديان ونفى تهمـة التعصب عن المصريين واشـتراك رجال مختلفى العقيدة والمذهب فى كل منهمـا •

وعلى كل حال فقـد كان برنامج الحزب الوطنى برنامجا عمليـا بشكل عام وأقرب ما يكون الى نشاط مصطفى كامل قبـل اعلان الحرب رسميـا •

وقـد كانت الجمعية العمومية للحزب الوطنى تجتمع مرة فى شهر ديسمـبر من كل عام تحت اسـم المؤتمر الوطنى لمناقشة ميزانيـة الحزب وأعمـاله ومراجعة نشاطه ووضع القرارات •

وعن اللجنة الادارية للحزب فكانت تنعقـد مرة كل شهر للنظـر فى الأمور الخاصة بالحزب •

أما عن اللجنة التنفيذية فكانت تتكون من ثمـانية أعضاء ينتخبون من أعضـاء اللجنة الادارية بخلاف الرئيس يكون منهم نائبـان للرئيس

وسكرتير أمين صندوق وكانت هذه اللجنة تجتمع أسبوعا لتسير أمور الحزب وما يطرأ عليه من تطورات (٣٠) .

وبالنسبة لاشتراكات الأعضاء فلم يتحدد اشتراك معين بل ترك لكل عضو يدفع ما يريد حسب مقدرته .

وقد نمت حركة الحزب الوطنى واتسع نطاقها بازدياد عدد الذين انضموا الى صفوفه .

وتختلف الآراء التى قيلت عن تأسيس الحزب الوطنى بين مادح وقادح فهناك رأى يرى أنه كان من الواجب على مصطفى كامل وجماعته محاربة حركة تجزئة الأمة وتفتيت وحدتها بأن تبادر بكشف أساليب الاستعمار وأعوانه بدلا من أن تسارع الى تنظيم نفسها على شكل حزب بعد الاعلان عن حزبى الأمة والاصلاح على المبادىء الدستورية(٣١) ولكن ردنا على ذلك هو أن اختمار فكرة تكوين الحزب الوطنى فى ذهن مصطفى كامل كما سبق أن أوضحنا الا أنه لم يقدم على هذه الخطوة الا بعد الاعلان عن حزبى الأمة والاصلاح وبعد أن كاد صوت الجلاء يضيع وسط المتاهات الحزبية ، فالواضح أن الحزب الوطنى كان آخر الأحزاب الكبيرة التى أعلنت عن نفسها حيث أعلن عن قيام حزب الأمة فى ٢١ سبتمبر ١٩٠٧ وحزب الاصلاح فى ٩ ديسمبر بينما الحزب الوطنى لم يعلن قيامه الا فى ٢٧ ديسمبر من نفس العام يضاف الى ذلك أن مصطفى كامل رغم أنه اضطر الى قبول مبدأ تكوين الحزب السياسى فانه ظل يدافع عن فكرة مبدأ الحزب الواحد ، وكان من

---

(٣٠) د. يونان لبيب : المرجع السابق .

(٣١) محمد عبد السلام الزيات : الاتجاهات المعاصرة فى التنظيم السياسى القاهرة — الانجلو المصرية ص ١٤٧ .

رأيه أن تعـــدد الاحزاب ممكن طالمـــا أن الوطن ليس معرضا للخطر أما وقـــد أصبحت مصر محتـــلة من الانجليز ، فان مواجهة الخطر تقتضى الاكتفـــاء بحزب ســـياسى واحـــد هو الحزب الوطنى حتى يتمكن من توحيـــد الأمة وتجنيـــد وحشـــد كافة طاقاتها لتحقيق الاستقلال (٣٢) .

أما الرأى الثانى فكان يرى فى تعـــدد الأحزاب قوة للامة وتأكيدا لصلابتها وتقدمها اذ أنه لا توجـــد الأحزاب الا فى الأمم القوية التى بلغت أشدهـــا ، وتكون الأحزاب كالشجرة التى تتفرع الى أغصـــان كثيرة لكنهـــا ترتبط بالجـــذع الراسخ بجـــذوره فى أعمـــاق الأرض ، فكذلك الأمة القوية هى الجـــذع الراسخ وفروعها بمثابة الأحـــزاب المختلفـــة الاتجاهات(٣٣) .

ثم هنـــاك رأى آخـــر يرى أن العمل الحزبى أفضل من العمـــل الفردى الذى يمكن أن ينتهى بموت الفرد ، كمـــا أن وجـــود أحزاب معتـــدلة بجـــانب متطرف يعطى للانجليز الفرصة فى التفـــاهم معهم فيكون أحـــدهم حلقـــة اتصال بين الأمة والاحتـــلال (٣٤) .

ومع وجاهة الآراء السابقة فاننا نرى أن ظروف مصر فى تلك الفترة وهى فترة الاحتـــلال كانت تتطلب وجود حزب واحـــد قوى يستطيع قيـــادة الأمة نحو الاستقلال بعيـــدا عن المهاترات الحزبيـــة التى غالبا ما تنشـــأ نتيجـــة الصراع بين مختلف الاتجاهات والنزاعات الحزبيـــة ، أما بعـــد أن يتحقق الجـــلاء فتعدد الأحزاب مطلوب لممارسة الحيـــاة الديمقراطيـــة .

---

(٣٢) د . يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر ص٥٥ .

(٣٣) محمد توحيد : كيف يبحث الوطنى فى مسألة الاحزاب السياسية فى مصر ص ٩٠ .

(٣٤) د . يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٦ .

وعلى كل حال فقد خاضت مصر غمار الحزبية ، وأصبح لزاما على الحزب الوطنى أن يحمل لواء الاستقلال وقيادة الحركة الوطنية المطالبة بالجلاء العاجل •

ولقد ارتبطت الطبقة المتوسطة وبوجه خاص الكامنة منها فى المدن بشخصية مصطفى كامل الرومانسية أشد الارتباط كما ارتبط الشباب بصفة عامة والطلبة بصفة خاصة بمصطفى كامل لدرجة أن أصبحت بعض المدارس مكانا للمناقشات السياسية التى أثارها الحزب الوطنى (٣٥) ومع ذلك فانه لا يمكن القول بأن الحزب الوطنى كان يمثل كافة المثقفين لأن هؤلاء وزعوا بين كافة الأحزاب (٣٦) كما أن الحزب الوطنى فى بداية تكوينه لم يهتم بجذب الفلاحين اليه وذلك لأن دعوته بالتقارب من الدولة العثمانية جعلت الفلاحين يبتعدون عنه نظرا لما لاقوه من العسف أثناء الحكم العثمانى واستمر الحال على هذا المنوال حتى حادثة دنشواى التى كانت فرصة لوصول صوت مصطفى كامل للفلاحين ، يضاف الى ذلك (٣٧) •

أن نشاط الحزب الوطنى تركز فى المدن ، وبوجه خاص فى الاسكندرية والقاهرة والمدن الكبرى بالوجه البحرى أما فى الوجه القبلى فلم يكن للحزب الوطنى نفوذ يذكر •

ولقد تميز برنامج الحزب الوطنى بالوضوح ورتب مطالبه الوطنية حسب أهميتها فأعطى للجلاء الأولوية على الدستور ، وبذلك كان حزب التعبير عن الواقع مما كفل له تأييد أغلبية الجماهير فكان له

---

(35) Alexander, J. The Truth about Egypt P. 229.

(٣٦) محمد شفيق غربال : المرجع السابق ص ٢٧

(37) Landau, J. Parliaments and Parties in Egypt. New York, 1954 P. 135.

أعظم وزن فى الحـــركة السياسية المصرية فى تلك الفترة [٣٨] •

وقـــدأ ثمرت دعوة الحزب الوطنى فى جمع شمل المصريين حـــول مطلب الجـــلاء الذى اقترن بفكرة الحيـــاة الدستورية ، ولـــا اتضح أن ذلك لا يتم الا بالارتقـــاء بأفراد الأمة اهـــتم الحزب الوطنى بنشر التعليم كمـــا نادى برفع الغبن عن الطبقات الكادحة من أبناء الشعب[٣٩]

ومما يؤخـــذ على الحزب الوطنى موقفـــه من القضايا الاجتماعية ، فرغم أن مؤسسة تعلم فى أوربا فقـــد ظل متمسكا بالقـــديم أشـــد الاستمساك فهاجم قاسم أمين عندما أصـــدر كتابه تحرير المرأة واتهمه بمخالفـــة الدين [٤٠] كمـــا هاجم الشيخ على يوسف لموقفـــه من قضية الزوجيـــة •

ويمكننا أن نرجـــع ذلك الى أن مصطفى كامل حـــاول التقرب الى الشعب فيما هو عزيز لديه من عادات وأوهام لاســـتغلاله فى الغـــايات السياسية •

ويؤخـــذ على الحزب الوطنى أيضـــا أنه لم يكن له دور بارز داخل القرية المصرية فاعتمـــد على الطبقة المثقفـــة مع أن الحركات الجماهيرية لا تتعمق جذورها الا بالاعتمـــاد على القوى الفلاحية التى تمثـــل غالبية أفراد المجتمع كمـــا يؤخـــذ عليه أنه لم يطرح على جماهير الشـــعب المصرى تصورات لآفاق جديدة مثل التى طرحتها الأحزاب الأخرى[٤١]

ولعل الخديو عباس الثانى كان محقـــا فيما قاله عن مصطفى كامل بأنه لم يكن مفرطا فى عصريته وأن أفكاره كانت أقرب الى التقليـــد

---

(٣٨) د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٩ .

(٣٩) فتحى رضوان : كفاحنا الوطنى فى نصف قرن ص ٦١

(٤٠) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية جـ ١ ص ٢٧

(٤١) للتفاصيل انظر د. يونان لبيب : المرجع السابق ص ٥٣ .

الشرقى [٤٢] يضاف الى ذلك ما ذكرته جوليت آدم من أن مصطفى كامل كان يشفع أعمـاله بالتقاليد العربية الأصيلة حتى يرضى شمم عنصره الذى لا يقبـل فى ذلك الوقت الا أن يسـترد ما أعاره لأوربا [٤٣] .

وعلى كل حال فقـد أسس مصطفى كامل حزبا ذو تنظيم اتسـم بالقوة والثبـات أمام الضربات التى وجهت اليـه وصار يؤدى واجبـه فى حركة النضـال الوطنى حتى يمكن القول أنه كان صـاحب الفضل فى تهيئـة الطريق أمام ثورة ١٩١٩ .

---

(٤٢) المصرى فى ١٤ مايو ١٩٥١ .

(٤٣) جوليت آدم : المرجع السابق ص٢٣٠ — ٢٣١ .

محمــد فريد وزعامته للحزب الوطنى

د٠ عبد المنعم الدسوقى الجميعى

حيــاة محمد فريد الزعيم الثانى للحزب الوطنى مليئة بالتضحيات فى سبيل المبــادىء من أجــل الدفاع عن حرية مصر وحقوقهــا المسلوبة فقــد انضم فــريد الى قافلة المجــاهدين بعــد أن أتم تعليمــه ، وبدأ حيــاته السياسية بالاستقالة من وظيفته كوكيل للنــائب العــام بعــد موقفــه الوطنى فى قضــــية التلغراف ، ثم ضــحى بعمله فى المحاماة لكى يتفرغ للجهــاد ، كمــا ضحى بأمواله لمساندة الحركة الوطنية فباع كل ما تركه له والده من أرض زراعية من أجــل تمويل الحزب الوطنى حتى يقف على قدميه ثابت الأركان ، ورفض الاشــــتراك فى أى وزارة ٠ أو تولى أى منصب طالمــا الاحتــلال جاثمــا على صدر الوطن يضــاف الى ذلك أنه ضحى براحته وحريته فتعرض للسجن والنفى ومات بعيــدا عن الوطن الذى أحبــه وعمل من أجــله ٠

ورغم الظروف السياسية التى أحاطت بفريد عقب توليــه رئاسة الحزب الوطنى ورغم ما تعرضت له الحركة الوطنية من ضربات متلاحقة سواء من الخديو أو من الإحتــلال نتيجة سياسة الوفاق التى اتبعهــا الانجليز لاجتــذاب الخديو الى صفهم واحتواء الحركة الوطنيــة فقــد ظل فريد متمسكا بمبادئه متحملا للمصاعب والعقبات التى واجهته بكل عزيمــة وجلد ليس فقط من جانب الانجليز والخديو ، ولكن أيضــا من جانب بعض أعضــاء الحزب الوطنى وبوجه خاص من على فهمى كامل شقيق مصطفى كامل ٠

(*) ألقى ضمن محاضرات الموسم الثقافى للجمعية فى ١٩٨٢/١٢/٢٦

فبعــد وفاة مصطفى كامل اتجهت أنظار الوطنيين الى محمــد فريد ليخلفــه فى تحمل أعبــاء زعامة الحزب الا أن الخديو كان له موقف آخر وهو رغبتــه فى احتواء الحزب الوطنى عن طريق ترشيح من يتوســم فيــه السير فى ركابه خلفا لمصطفى كامل فى زعامة الحــزب ، ولمــا كان الخديو يدرك أن فريدا ليس بالرجل الذى يسير طوع ارادته ، أو ممن يدينون بالطــاعة أو الولاء له فقــد حاول منع انتخابه رئيسا للحــزب الوطنى وذلك عن طريق تقريب أعضــاء الحزب منه واملاء ارشاداته وتوجيهاته عليهم ، ودس دسائسه لانتخــاب من يكون طوع ارادتــه ، فأوعز الى على فهمى كامل أن يرشح نفسه لرئاسة الحزب الوطنى ووعده بالمســاعدة المــادية والأدبيــة على أســاس أنه أحق الناس بوراثة أخيــه فى زعامة الحركة الوطنية ، ورغم أن مصطفى كامل كان قــد رشح فريدا بأن يكون رئيسا للحزب من بعــده فان على فهمى كامل حبذ فكرة الخــديو ، وعمل من أجل تحقيقها ، ولكنه رأى التيار داخل الحزب فى صالح فريد فتراجع عن موقفه ، ويتضح ذلك مما كتبــه فريد فى مذكراته فقال « كان يريد أن ينتخب بصفته أخ الفقيــد وجهــز أوراقا مكتوبا عليها اسمه ووزعها على بعض الحاضرين ، وأدخل فى محضر الاجتمــاع الكثيرين من غير الأعضــاء بواسطة من وضعهم على الباب من رجاله ، ولكنه لمــا رأى التيــار قويا ضــده حول الدفة ، وخطب فى الحاضرين مرشحا لى بنــاء على جواب كتبه له أخوه من أوربا يوصيه فيــه بانتخابى لوفاجأه القــدر المحتوم [١] » .

وعلى كل حال فقــد فشلت محاولات الخــديو فى اســقاط فريد خصوصا بعــد أن وقف الأستاذ عثمــان صبرى صهر مصطفى كامل ، ومدير جريدة ذى اجبشيا استاندارد والقى خطبة أوضح فيهــا أن فريد هو المرشح الوحيــد لرئاسة الحــزب بعد مصطفى كامل ، وقــد وجدت

---

(١) مذكرات محمد فريد ، ملف رقم (١) الجزء الأول — القسم الأول ص ٣ .

هـذه الفكرة ترحيبا من اجمـاع الحاضرين ونودى بفريد رئيسـا للحزب الوطنى [٢] ممـا قلب خطط الخديو رأسا على عقب .

ولما علم الخديو بمـا حدث حاول ألا تفلت الأمور من يـده أكثر من ذلك فطلب من فريد تليفونيا مقابلته بسراى عابدين ، وهنـاك هنـأه على انتخابه وكان من ضمن عباراته له « أن وجود مثلك على كرسى الحركة الوطنية مفيـدا جدا لأنك لست محتاجا ، ولا طالبـا للمال ، ولأنك من عائلة خدمت البـلاد .. ولا يمكن للانجليز أن يقولوا عنـك بأنك طالب شهرة أو مال أو وظيفـة [٣] » كمـا عرض الخـديو على فريد استعداده للمساعدة بالمـال ، ولكن فريد رفض ذلك بشـدة حتى لا يكون مرتبطا بالولاء لأحـد .

وهـكذا نجح رجال الحزب الوطنى فى احبـاط محاولات الخديو بمنع انتخاب فريد ، واحـداث انشقاق ونزاع بين أعضـاء الحـزب فقضوا على المؤامرة فى مهدهـا ، ورأبوا الصـدع ، وتم انتخـاب فريد رئيسا للحزب الوطنى ، وكذلك حـدد فريد فى أول لقـاء له مع الخديو بعـد انتخابه استقلاله عنـه ، ورفض أمواله حتى لا يسير طوع ارادته ممـا زاد من اصرار الخـديو على ضرورة اسقاطه ، ووضع العقبـات أمـامه .

وقـد حمل فريد زعامة الحزب الوطنى وسط مصـاعب جمـة فلم تسر الأمور على المنوال الذى سارت عليـه رئاسة مصطفى كامل للحزب ، ويرجع ذلك الى أن فريد تولى زعامة الحزب فى وقت ظهرت فيـه سياسة الوفاق بين الخـديو والاحتـلال فصارت الحركة الوطنية بزعامة فريد

---

(٢) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخـلاص والتضحية . القاهرة — النهضة المصرية . الطبعة الثانية ١٩٤٨ ص ٤٥

(٣) مذكرات محمد فريد .. الجزء الاول — القسم الأول ملف رقم (١) ص ٤ .

هدفا لحرب شديدة من جانب الاحتلال والخديو معا [٤] مما جعل فريد يضاعف من جهاده •

وقد أخذ فريد يشرف على تحرير جرائد الحزب الثلاثة ويوجه سياستها كما أنشىء فى أوائل عهده بالرئاسة نادى الحزب الوطنى ، وتولى هو رئاسته •

وقد حدد فريد مطالب الحركة الوطنية فى مطلبين هما الجلاء والدستور وبذلك كان متفقا فى خطته مع مصطفى كامل الا أنه أبرز دعوة المطالبة بالدستور وجعل منها حركة عامة دعا اليها الأمة ، ووجهها الى مطالبة الخديو بالدستور بكتابة العرائض الى قصر عابدين [٥] ، وقد أعد الحزب الوطنى عرائض لتقديمها الى الخديو بطلب مجلس نيابى [٦] واعادة دستور ١٨٨١ الذى ألغى بعد هزيمة العرابيين •

ويبدو أن فريدا كان قد اقنع الخديو بضرورة منح الأمة المصرية مجلسا نيابيا ، وأن الخديو وافق على كتابة العرائض بطلب الدستور حتى اذا سافر الى انجلترا يتكلم مع الملك ادوارد بخصوص منح المصريين الدستور ويثبت ذلك ما كتبه محمد فريد فى مذكراته « كان الشروع فى

---

(٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٤٦ •

(٥) دار الوثائق : محافظ عابدين • ديوان خديو • التماسات جماعية محفظة رقم ١٢ •

(٦) كانت صيغة هذه العرائض ما يلى :
مولاى « اننا بكل اخلاص وثقة باميالكم السامية نلتمس من لدنكم ان تمنحوا رعيتكم المخلصة مامنحه ابوكم الكريم لها عام ١٨٨١ وهو انشاء مجلس نيابى يكون عونا لحكومتكم السنية على نشر العلوم والمعارف ، وانت يا مولاى الأمير خير من يقدر الدستور قدره لأنك نشأت نشأة عصرية ضاعفت محبتك لرعيتك التى رقيها من أجل امنيتك » •

دار الوثائق : تقارير الأمن العام — الداخلية تحت عنوان : عرائض وطلبات من الأهالى بشأن انشاء مجلس نيابى عام ١٩٠٨ •

هـذا العمل بالاتفـاق مع الخديو حتى اذا سـافر الى انجلترا يتكلم مع الملك ادوارد فى ذلك ويظهر له أن الأمة المصرية تطالب الدسـتور وانه يوافق على ذلك لأنه من حقوقهـا (٧) » •

وعلى كل حال فقـد أخـذ الحزب الوطنى يجمع التوقيعات بطلب المجلس النيـابى حتى وصل الى حوالى خمسة وسبعين الف توقيع ، ولمـا تبلورت خطورة هـذه الحـركة داخل البـلاد سعى الاحـتلال لاحباطها فأعلن وزير الخارجية البريطانية فى مجلس العموم أن الخديو لا يمكنه أن يمنح بلاده دسـتورا أو مجلسا نيابيـا الا بعد استشارة الحكومة البريطانية ، وقـد احتج الحزب الوطنى على ذلك بشدة وانتقد ما تخوله انجلترا لنفسها من الحق غير الشرعى فى التدخل بين الأمـة والخديو صـاحب السلطة فى منح أمته الدستور (٨) فذكر فريد بأنه خير لنـا أن نبقى بلا دستور من أن ننـاله بالاعتراف بأن للانجليز حقا أو شـبه حق فى بلادنا •

وعلى الرغم مما أبداه الخديو من ارتيـاح فى بداية الأمر الى تقديم العرائض فانه قابل اتساع هـذه الحركة بالفتور ثم تغير موقفـه حيالها وبوجه خاص بعـد أن أظهر الاحتـلال استياءه وأعلن جورست أن الشروط اللازمة لاقامة مجلس نيـابى فى مصر غير متوفرة والتفكير فيها يعتبر ضربا من الحماقة والجنون فخشى الخديو أن تتعرض سـياسة الوفاق بينه وبين الانجليز للخطر يضـاف الى ذلك أن فريدا اشترط أن يضع أحكام الدستور المنتظر مجلس منتخب من الأمة ممـا جعل الخديو يتردد فى الأمـر •

ورغم ذلك فان الحزب الوطنى استمر فى مطالبته بالدستور ، وجدد أساليبه فى مطالبته به فبعـد أن كانت المطالبة تقتصر على العرائض

---

(٧) مذكرات محمد فريد . القسم الأول — الجزء الأول ص ٤ .
(٨) الرافعى : المرجع السابق ص ٥٨ .

اتبع الحزب اسلوب المظاهرات الشعبية ، فكان يتجمع فى حديقة الجزيرة الآلاف ثم تسير المظاهرة الى قلب القاهرة منادية بالدستور ، وكان دور الطلبة وخصوصا طلبة المدارس العليا بارزا فى هـذه المظـاهرات ففى محطة طنطا قام الطلبة بمظاهرة وطنية أثنـاء مرور الخـديو بهـا يطالبون بالدستور ، كمـا تظاهر الطلبة اثنـاء مرور موكب الخـديو فى القـاهرة هاتفين « الدستور يا أفنـدينا [٩] » وكان طلبة الحقوق يصعدون على سطح مدرسـة مجاورة لقصر عابدين يرددون الهتـاف للدستور [١٠] ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد فقد تعقبت هـذه الدعوة الخـديو خارج مصر أيضـا فقـد طالبه المصريون الموجودون فى تركيا بالدستور اثنـاء زيارته للسلطان وعلا هتافهم « الدستور يا أفنديا » كمـا طالبه به الطـلاب المصريون بانجلترا اثنـاء زيارته لهـا [١١] .

وقد تزايدت الهتـافات بالدستور فى كل مكان حتى أصبحت أقرب الى نشيد وطنى لا يظهر الخديو فى أى مكان عام الا ويواجه بهـا وأحيانا تختلط هـذه الهتافات بزغاريد النساء [١٢] .

يضـاف الى ذلك أن الحزب الوطنى حـاول اتبـاع أسـاليب الضغط والتهـديد مع الخـديو حتى يمنح الأمة الدستور وذلك بأن يقدم أعضاؤه عريضة للخـديو يطالبون فيها الدستور ، واذا لم يتحقق مطلبهم فى مدة شهر يتوقف المصريون كافة عن دفع الضرائب للحكومة [١٣] ولم يقتصر الأمر على ذلك بل قام بعض رجال الحزب الوطنى بارهاب الخديو فأرسلوا له خطابات تهديد بنسف موكبه كمـا قاموا بوضع عوائق

---

(٩) نفسـه ص ٦٢ .
(١٠) محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ج ١ ص ٣٢
(١١) أوراق محمد فريد . مظروف رقم ٢٣ .
(١٢) دار الوثائق : مذكرات سعد زغلول كراس رقم ٩ .
(١٣) د. يونان لبيب : الحياة الحزبية فى مصر ص ١٧٦ .

أمام القطـــار الخاص الذى كان يقوده الخديو بنفسه من مريوط الى الاسكندرية ، ولكن الخديو تمكن من ايقاف القطار بصعوبة •

وبالرغم من أن حركة المطالبة بالدستور لم تسفر عن اعلانه بل زادت من تقرب الخديو لقصر الدوبارة فانهـــا غرست فى نفـــوس المصريين التعلق بالحكم الدستورى والكراهية للحكم الاستبدادى (١٥) كمـــا أنها زادت من متاعب رجال البوليس فى حفظ النظام فى شوارع القاهرة (١٦) ممـــا سبب قلقا لسلطات الاحتـــلال •

وبالرغم من احســـاس فريد بخطورة التصدى للخديو والانجليز معـــا فانه لم يجـــد بدا من التصدى لهما دون أن يبـــالى بغضبهما أو تحالفهمـــا ضده فانتقـــد زيارات جورست المستمرة لقصر عابدين ، وأعلن عن تخوفه من النتـــائج السلبية التى تعود على الحـــركة الوطنية من جـــراء توثيق العلاقات بين الخديو والمعتمد البريطانى وكتب مقالات فى اللواء تحت عنوان « ماذا يقولون » بدأ أولهـــا فى ١١ أبريل ١٩٠٨ وفيهـــا عرض بالخديو وسياسته وذكره بمواقفه الســـابقة من الانتصار للحركة الوطنية والدستور (١٧) كما فتح باب المناقشة فى سياسة الوفاق يضـــاف الى ذلك أنه ســـافر الى فرنســـا فى مايو ١٩٠٨ للدفاع عن القضية المصرية والتقى ببعض رجال السياسة والقلم هنـــاك كمـــا سافر الى انجلترا ، وقابل المستر بلنت وبعض اعضـــاء البرلمان الانجليزى (١٨) وهنـــاك طالب بالجـــلاء واعادة الدستور ، وأوضح أن الحركة الوطنية لم تمت بوفاة مصطفى لأنهـــا لم تكن قائمة على أشخاص بل لهـــا

---

(١٤) المؤيد : فى ٢٨ مارس ١٩٠٨ .
(١٥) الرافعى : المرجع السابق ص ٦٢ .
(١٦) تقرير عن المالية والادارة والحالة العمومية فى مصر والسودان ١٩٠٨ مرفوع من جورست الى جراى . المقطم ١٩٠٩ .
(١٧) اللواء فى ١١ أبريل ١٩٠٨ تحت عنوان « ماذا يقولون » .
(١٨) مذكرات محمد فريد رقم (١) ص٥ .

أسس وجـــذور فى داخل الشعب المصرى ، ومهما تغـــيرت الأشخاص فالمبـــدأ ثابت لا يتغير وهو جـــلاء الانجليز عن مصر .

ولمـــا حاول بعض النواب الانجليز اقنـــاع فريد بالتخـــلى عن مطلب الجـــلاء فى سبيل بحث عطـــاء مصر الدستور ، رفض ذلك الطلب بشـــدة وأوضح أنه لا مساومة فى موضوع جـــلاء المحتلين عن مصر(١٩)

وقـــد تضايق الخـــديو من محاولات فريد افســـاد سياسة الوفاق فحـــاول ابعـــاده عن الاتصال بالجماهير وتخريب الندوات السياسية التى يقيمهـــا الحزب الوطنى فعندما ســـافر فريد الى الزقازيق مع بعض رجال الحزب لالقـــاء خطبة بمناسبة دخول الانجليز مصر تصدى لهم أنصـــار الخديو بالمحطة وحاولوا منع الاحتفال ، ولكن لم يتحقـــق مسعاهم (٢٠) .

وقـــد جاهر الخديو بعـــدائه لفريد بعـــد أن فشل فى احتـــوائه فرماه وأنصاره بالتسرع فى حـــديث له مع مكـــاتب جـــريدة الطـــان الباريسية فقـــال « لقـــد اشتغلت دائما فى ترقية بلادى وتقـــدمها فى الحضـــارة ، ولكن للاسف وجـــد قوم متسرعون جـــدا أخروا تقدمهـــا الطبيعى بالحاقهم فى مطالب سابقة لأوانها ومصحوبة بالضوضاء (٢١) » وعرج فى حديثـــه على الاحتـــلال وجورست فقـــال « ولى وطيد الأمل فى القيـــام بمهمتنا بمســـاعدة البلد الذى يؤيد مصر تأييدا عظيما فى رفع شأنها وتمدينهـــا ، وان وجود ممثل هذا البلد السير الدون جورست بيننـــا يعـــتبر وثيقة لنـــا لتحقيق ذلك (٢٢) .

---

(١٩) مذكرات فريد كراس رقم (١) ص٥ .
(٢٠) نفســـه ص ٥ .
(٢١) الرافعى : المرجع السابق ص ١٦٥ .
(٢٢) نفســـه ص ١٦٥ .

وقد رد فريد على ذلك بمقالتين كشف فيهما عن خطر سياسة الوفاق على القضية المصرية وانتقد الخديو له بالتسرع •

وعلى كل حال فانه يتضح من أحاديث الخديو انتقاده للسياسة العدائية التى كان يجرى عليها الحزب الوطنى ضد الانجليز وتمسكه بسياسة الوفاق التى سار عليها جورست •

ولم تقتصر المضايقات الموجهة الى فريد على الخديو والمحتلين فحسب بل شاركهم فى ذلك على فهمى كامل وبعض المنشقين على سياسة فريد ، فقد عمل على فهمى كامل على تعطيل جريدة اللواء لاحراج مركز فريد فحرض عمال الجريدة على الاضراب عن العمل فى نوفمبر ١٩٠٨ حتى تتحقق مطالبهم ، ولما لم ينجحوا فى مسعاهم فى تعطيل الجريدة أو السيطرة عليها قاموا بانشاء جريدة مصر الفتاة لتعبر عن آرائهم وتنتقد سياسة فريد وتحارب اللواء ، ومع كل ذلك فقد تذرع فريد بالصبر ودعا كافة أعضاء الحزب الى ضرورة لم الشمل والتضامن لمجابهة الدسائس التى تحاك ضد الحزب •

وقد تدفعنا مضايقات على فهمى كامل لمحمد فريد الى التساؤل عن سبب الخلاف الاساسى بينهما •

الواقع ان الخلاف كان يكمن فى علاقة كل منهما بالخديو ففريد كان يمثل التيار المتشدد تجاه الخديو بينما على فهمى كامل كان يتمسك بمبدأ الموالاة الشديدة له يضاف الى ذلك أن على فهمى كامل كان يعتبر أنه أحق من فريد برئاسة الحزب الوطنى ، وأن فريدا اختلسها منه لذلك كان يحاربه فى الباطن بينما يظهر له الود كما أن حب على فهمى كامل الشديد للمال جعل من السهل على الخديو اجتذابه الى صفه ضد محمد فريد ومحاولة اظهاره بمظهر عدم القدرة على ادارة الحزب وصحافته •

ورغم كل هـذه العقبـات التى اعترضت فريد فقـد سـار فى برنامجه الوطنى لتحقيـق الجـلاء والدستور ، ومن أجل ذلك عمـل فريد على تعليم الشباب حتى يتعرف على حقوقه وواجباته فطالب بنشر التعليم الابتدائى بين جميع طبقـاته فقيرها وغنيها ، وأن يكون هـذا التعليم الزاميـا ومجانيا لكل مصرى ومصرية حتى يشب التلاميذ على حب المساواة ، ويعرفون منـذ نعومة اظفارهم ألا تفـاوت بين الناس الا بخـدمة الوطن كمـا تبنى فريد مع نادى المدارس العليـا فكـرة انشاء مدارس ليلية لتعليـم الفقراء والعمـال مجانا ، وقد عـرفت هـذه المدارس باسم مدارس الشعب ، وبدأت الدراسـة بأولهـا وهى مدرسة بولاق فى نوفمبر ١٩٠٨ وعهـد بالتدريس فيها الى رجال الحزب الوطنى وأنصاره فكان المحامى والطبيب والمهندس وغـيرهم يخصصون من أوقاتهم ساعة أو أكثر كل مساء يقفون فيهـا فى حجرة ضيقـة خشنة يعلمون الفقراء مبـادىء القراءة والكتابة ، وجغرافية بلادهـم وتاريخها [٣٣] وقوانين المعاملات اليومية والأخـلاق والآداب وغـير ذلك من العلوم، ومن داخل هـذه المدارس نبتت بذور فكرة انشـاء نقابة الصنائع اليدوية من أجل حمـاية العـامل والفلاح من الفقر ، ومساعدته عند الشيخوخة ، ورغم أهمية هـذه المدارس فى القضاء على الجهل والأمية فان الحزب الوطنى اقتصر على افتتاحها فى القـاهرة[٣٢] ولم يكن للاقاليم منهـا نصيب .

وقـد دعا فريد الى وضع التشريعـات لحماية العمال والعنـاية بشئونهم وتحـديد ساعات العمل بالنسـبة لهم ، وتحريم اشتغـال الأطفال الذين تقل أعمـارهم عن تسع سنوات فى محالج القطن ، وتحريم عملهم فى كافة المصـانع ليـلا ، كما عنى بتأسيس النقـابات للدفاع عن حقوق العمال والمطالبة بترقية أحوالهم المـادية والمعنوية فأنشـئت

---

(٣٢) احمـد بهاء الدين : ايام لهـا تاريخ ص ٧٣ .

ببولاق عام ١٩٠٩ أول نقابة للعمال فى مصر باسم نقابة عمال الصنائع اليدوية ، كما دعا الى ايجاد النقابات الزراعية لتقف ضد الظلم الفادح الذى يتعرض له الفلاح من الحكومة والملاك والمرابين كما طالب بتخفيف الضرائب عن الأطيان ، وتحسين حالة الفلاح المسكين الذى يعمل هو وزوجته وأولاده ورغم ذلك لا يحصلون الا على القوت الضرورى •

وقد سرت فكرة تأسيس النقابات فى عواصم الأقاليم فانشئت نقابات لعمال الصنائع اليدوية فى الاسكندرية والمنصورة وطنطا وغيرها على غرار نقابة القاهرة •

ونتيجة لدعوة فريد بالاهتمام بالعمال والفلاحين ذكر البعض أن الحزب الوطنى أيام فريدكانت به لمسات اشتراكية ، ولكن الواضح أن مخطط الحزب الوطنى كان يفتقر الى مثل هذه اللمسات الحقيقية لانه لم يقدم على سبيل المثال منهجا عمليا للاسهام فى حل مشاكل الشعب الاقتصادية والاجتماعية ، ولم يتعد دفاعه عن العمال والفلاحين الخطب والمقالات بهدف جذبهم اليه وبث روح النضال الوطنى فيهم ، وتنظيمهم ليكونوا ركيزة للعمل الوطنى الى جانب المثقفين من أبناء الطبقة المتوسطة ولم يقتصر دور فريد الوطنى فى الكفاح على ذلك بل شجع على تأسيس جمعيات لطلاب المصريين الذين يدرسون فى الخارج بهدف الدفاع عن قضية استقلال مصر [٢٤] ثم عقد المؤتمرات فى أوربا لشرح حقيقة القضية المصرية يضاف الى ذلك الاشتراك فى المؤتمرات التى تعقد فى أوربا لاظهار حقوق الشعوب المغتصبة بهدف تكوين رأى عام يناصر القضية المصرية •

---

(٢٣) كانت عبارة عن اربع مدارس احداها فى العباسية والثانية فى بولاق والثالثة فى شبرا والرابعة فى الخليفة .

(٢٤) منبر الشرق فى ١٩٥٢/٨/١٥ تحت عنوان الحلقة العاشرة من مذكرات الشيخ الغاياتى .

وفى محاولة للحـد من نشاط فريد الثورى والقضـاء على الروح الوطنية قامت حكومة بطرس غالى بتقييد حركة الصحافة فاعادت فى مارس ١٩٠٩ العمـل بقـانون الصحافة القـديم الصـادر فى نوفمبر ١٨٨١ والذى يخول لوزارة الداخلية حق انذار الصحف وتعطيلهـا مؤقتـا أو نهائيـا دون محاكمـة أو دفاع ، وكانت حجة الوزارة فى ذلك هو ردع الجرائد التى تجاوزت الحـدود ، ووقف الفوضى التى تتعرض لها البلاد .

وقـد احتج الحـزب الوطنى على اعادة هـذا القـانون الذى يكمم أفواه الوطنيين وظهر ذلك واضحا فى المظـاهرات التى قامت فى القـاهرة احتجاجا على تقييد حرية الصحافة ، وفى برقيـات الاحتجاج التى ارسلت الى الخديو والوزراء وعلى كل حال فقـد حوكم الشيخ جاويش بمقتضى هـذا القـانون لنشره مقـالا باللواء تحت عنـوان « ذكرى دنشواى » اعتبرته النيـابة طعنا فى حق بطرس غالى رئيس المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين ، وحكم عليـه بالسجن لمـدة ثلاثة شهور ، كما أنذرت جريدة اللواء لنشرها مقـالا عن شـاب هنـدى يدعى (دنجرا) عدتهـا تحريضا على ارتكاب الجرائم والاخلال بالأمن والنظـام كمـا امعنت الحكـومة فى عـدوانها على ضـمانات الحـرية الشخصية فأصدرت ما يعرف بقانون النفى الادارى وبمقتضاه يكون الحق للحكومة أن تنفى الأشخاص الذين ترى فيهم خطورة على الأمن العـام ولم تقتصر جهود الحكومة البطرسية على الافتئات على حقوق الأفراد بل حاولت أيضـا الافتئات على حقوق الأمة بمـد فترة امتيـاز قنـاة السويس الذى كان ينتهى العمل به عام ١٩٦٨ أربعين عاما أخرى فى نظير مبلغ اربعة ملايين من الجنيهات تدفعهـا الشركة لها ، ورغم أن هـذا المشروع قـد ظل فى طى الكتمـان حوالى سنة فان محمد فريد تمكن من الحصول على نسخة المشروع فى أكتوبر ١٩٠٩ ونشرها فى جريدة اللواء موضحا مدى الغـبن الذى ستتعـرض له مصر من

ورائه [٢٥] وكان ذلك بمثابة صيحة الخطر فاهتمت الأمة بطوائفهـا وصحافتها بهـذا الموضوع فرأت الاحزاب ضرورة الاتفـاق على طريقة واحـدة لمواجهة الولاة كمـا طالبت الصحـافة بعرض المشروع على الجمعية العمومية قبيل البت فيه ونظرا لخطورة المسـألة اجتمعت اللجنة الادارية للحزب الوطنى فى ٢٩ أكتوبر ١٩٠٩ وهاجمت قيمـة المشروع السياسية والمـالية ، وطالبت الحكومة بأخذ رأى الأمة قبـل تنفيـذ المشروع [٢٧] كما أرسلت البرقيـات الجماعية الى الخـديو رفض فيها أصحابهـا تجـديد امتيـاز القنـاة ، وطالبوا بعرض الموضوع على الجمعية العمومية [٢٨] .

ونظرا لمـا آلت اليـه البـلاد من الغليان حاول الخـديو اقنـاع جورسـت بعـرض المشروع على الجمعيـة العموميـة [٢٩] ومـع أن جورست لم يعترض على ذلك الا أنه اشترط أن توافق الحكومة على المشروع أولا ثم تترك أمر تنفيذه لموافقة الجمعية العمومية [٣٠] على أن يدافع سعد زغلول عن المشروع أمامها [٣١] ونتيجة لذلك قامت الوزارة بدعـوة الجمعية العمومية للانعقـاد لاحالة المشروع عليهـا .

ولكى تتضح مخاطر المشروع أمام الرأى العـام قام فريد بتوضيح أبعـاده السياسية فقال « كيف يجوز لهـذه الحكومة أن تتساهل فى

---

(٢٥) الرافعى : المرجع السابق ص ١٣١ .

(٢٦) مذكرات سعد زغلول كراس رقم ١٧ ص ٨٩٧ .

(٢٧) اللواء فى ٣ أكتوبر ١٩٠٩ تحت عنوان « اجتماع اللجنة الادارية للحزب الوطنى » .

(٢٨) دار الوثائق : محافظ عابدين — ديوان خـديو . التماسات — تلغرافات محفظة رقم (١) .

(٢٩) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٧ ص ٨٩٥ .

(٣٠) نفسـه .

(٣١) أحمـد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن . الجزء الثانى — القسم الثـانى .

أمر اطالة أمد هذه الشركة مع علمها أن هذه القناة كانت السبب فى ضياع أستقلال مصر ، وان كل مصرى يتوق لأن يراها ملكا لمصر » كمـا طالب فريد بحفظ مرافق الأمة فى أيدى ابنائها ، وهاجم تمليـك مرافق البلاد الى الشركات الانجليزية ، وناشد أعضـاء الجمعية العمومية الاستقلال فى الفكر والشجاعة الأدبية لأن مصالح الأمة فوق كل شىء كمـا دعـا الحزب الوطنى الى القيام بمظـاهرة وطنية عنـد اجتماع الجمعيـة العمومية للمناداة برفض المشروع .

وعندما افتتحت جلسات الجمعية العمومية برئاسة الأمير حسين كامل فى ٩ فبراير ١٩٠٩ لمناقشة هـذا الموضوع حاولت الحكومة استعمال الشـدة مع الاعضـاء لكى يوافقوا على المشروع فقـد كان بطرس غالى يعتقـد أن المشروع نافع للبـلاد [٣٣] كمـا كان الأمير حسين كامل يؤيد المشروع [٣٤] ولكن الاعضـاء أصروا على رفضه ، وفى ١٠ فبراير شكلت لجنـة مكونة من خمسة عشر عضوا لدراسة المشروع وكتـابة تقرير عنـه ، وقـد أنتهت اللجنة الى عدة قرارات أهمهـا .

عـدم قبول مشروع الاتفـاق المعروض على الجمعية لانه ليس فى صالح البـلاد بل يعـد غبنا فاحشا على مصر [٣٥] ، ونظرا للمعارضة الشديدة للمشروع فى الجمعية العمومية لم يجـد الأمير حسين كامل بدا من الاستقالة من رئاسة جلسات الجمعية خصوصا بعـد أن فشل فى تحويل دفة المناقشات لصالح الحكومة [٣٦] .

---

(٣٢) اللواء فى ٣٠ يناير ١٩١٠ تحت عنوان « مسألة قناة السويس — اعتبارها سياسية » .

(٣٣) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٧ ص ٨٩٦ .

(٣٤) مذكرات سعد زغلول . كراس رقم ١٨ ص ٨٢٤ .

(٣٥) الرافعى : المرجع السابق ص ١٥١ — ١٥٢ .

(36) Blunt : My Diaries. Vol. II P. 306.

واستمرت المناقشات فى الجمعية العمومية ، وفى النهـاية تقرر رفض المشروع بأغلبية الآراء ، فكانت هـذه المرة الأولى التى استطاعت فيهـا الجمعيةالعمومية فرض رأيها على الحكومة .

وهـكذا نجح ضغط الرأى العـام المصرى فى اجبـار الانجليز والوزارة على العدول عن مشروع له مساس كبير بالاقتصـاد المصرى ممـا أقلق مضاجع الانجليز والحكومة فبدأوا فى تحين الفرص لارهـاب زعمـاء الحركة الوطنية ، ومهـدت لذلك جريدة المقطم باتهامهـا لرجال الحزب الوطنى بالثورية المتطرفة التى تختزن السـلاح وتتحين الفرصة للقيـام بثورة تطيح بالنظـام القائم (٣٧) .

ونتيجة للارهاب السياسى الذى تعرض له زعمـاء الحزب الوطنى وأنصـاره تحولت سياسة الحزب الى تشجيع الأفكار الارهابيـة(٣٨) وتدعيم التنظيمات السرية ، كمـا أبرزت اللواء اساليب الكفـاح الثورى فى الهنـد ، وأشادت بدور الطلاب الهـنود فى مقـاومة الاستعمار البريطانى (٣٩) .

ويبدو أن فريدا قد شـجع على أسلوب العنف الثورى فتألفت تحت رعايته جمعيات فى البلدان الأوربية التى بهـا طلاب مصريون للدعاية للقضية المصرية ، وقـد استطاع هؤلاء الشبان أن يثيروا قضية مصر فى البلدان التى يقيمون فيهـا ، ومن خلال هؤلاء تكونت الجمعيات السرية ، وتدرب الطلاب على استعمال الاسلحة والفرق لتخليص بلادهم بالقوة ،

---

(٣٧) المقطم فى ٢٩ اكتوبر ١٩١٠

(38) F.O 407/174, No. 836, Lowther to Grey, Terapia Oct.. 11, 1909.

(٣٩) أنظر على سبيل المثال :
اللواء فى ٣ مايو ١٩٠٨؛ تحت عنوان «الثورة على حدود الهند الانجليزية» وايضا عدد ٧ مايو تحت عنوان «الثورة فى الهند الانجليزية»

وكان فريد يزورهم وقـد أهدى اليـهم فى احـدى هـذه الزيارات مسدسات ، كمـا كان ابراهيم الوردانى وشفيق منصور يزوران هؤلاء الطلاب لتجـديد العهد معهم كل عام (٤٠) .

ومع ازدياد نشاط هـذه الجمعيات السرية الذى صحبه ازدياد فى شعبية الحزب الوطنى توقع البعض أنه كان من الممكن حـدوث ثورة مسـلحة فى البـلاد ، ولكنها لم تحـدث أمام سياسة الاضطهاد التى اتبعهـا الانجليز والحكومة ضـد الحزب الوطنى (٤١) .

وعلى كل حال فقـد ظل فريد متمسكا باستقلاله عن الخـديو مما جعل العـداء مستحكما بينهما حتى وصل الأمر بفريد أن رفض الوقوف اثنـاء عزف السـلام الخـديو فى حفل لرعاية الأطفال بدار الأوبرا مما استرعى انظار الحاضرين ، وأحدث ضجة فى داخل السراى ؛ ولمـا خاطب حسين رشدى محمد فريد فى هـذا الشأن اجابة بأنه ليس هناك قـانون يحتم عليـه الوقوف ، وكانت هـذه الظاهرة بمثابة اعـلان محمد فريد حربا عدائية ضد الخديو وخروجا على التقاليد المرعية (٤٢) .

ولتمكين قبضة الحكومة من السيطرة على الموقف قام رجال البوليس السياسى بمراقبة أعضـاء الحزب الوطنى ، وكتابة التقـارير اليوميـة عن أحوال البـلاد ، وذلك بناء على طلب اللورد كتشنر (٤٣) الذى أراد

---

(٤٠) صبرى ابو المجد : محمد فريد . ذكريات ومزكرات . القاهرة كتاب الهلال . ص ١١٤

(٤١) د . زكريا سليمان : الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ — ١٩٥٣ ص ١١٧

(٤٢) احمد شفيق : المرجع السابق ج٢ . القسم الثانى ص ٢٦٨

(٤٣) المـلم فى ٢٧ أكتوبر ١٩١٢ .

تصفية العناصر الوطنيــة ذات الميــول المتطرفة عن طريق تعريضهم للمحاكمات والارهاب وشتى ضروب الاضطهاد (٤٤) .

ونتيجة لاغتيــال بطرس غالى امعنت الحكومة فى محاربة الحــركة الوطنيه فصــدرت ثلاثة قوانين تعطى الصفــة القــانونية للحكومة فى تصرفاتها المطلقة تجاه الصحافة والمطبوعات ، ومظاهرات طلاب المدارس ، وتعــديل قــانون العقوبات ، وقــد استهــدفت الحكومة من هــذه القوانين التنكيل برجال الحزب الوطنى وهــذا ما حــدث فعلا فقــدم كل من الشيخ عبد العزيز جاويش ومحمد فريد فى أغسطس ١٩١٠ الى المحاكمة بتهمة كتابة مقــدمة لكتــاب وطنيتى الذى ألفه الشيخ على الغــاياتى وتضمن التنديد بالظلم وبحكم الفرد ، فقــد تحدث الغاياتى عن استسلام ملك فرنســا لويس السادس عشر لارادة حاشيته الظالمة وزوجتــه المسرفة المستبدة مارى انطوانيت التى كانت تحتقر الشعب الفرنسى ، كمــا بين هــذا الكتاب ان ارادة الشعب كانت دائمــا فوق كل ارادة ، وان الويل دائمــا يلحق بالحكومات اذا غضبت عليهـــا الشعوب (٤٥) .

كمــا تضمن هــذا الكتاب تنديدا بحكم الخديو المطلق واسرافه فكتب على الغاياتى يقول « يأخذ الحاكم المستبد أموال الأمة باحــدى يديه ، ويسمهــا سوء العذاب باليــد الأخرى فهو يجيبهــا ليشــبع ويفقرهــا ليغنى ، ويذلهــا ليعتز ثم يســد فى وجهها منــاهل العــلم لتنفسح أمامه منــاهج الظلم » ثم هدد الحكام الظالمين بقوله « لكن

---

(٤٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٨٦ .

(٤٥) على الغاياتى : وطنيتى — القاهرة . مطبعة منبر الشرق — الطبعة الثالثة ١٩٤٧ ص ٢٦ — ٢٧ .

يوم الظالمين يوم عصيب . هنالك يغير الله حالا بعد حال وتستوى الأمة على عرشها تدير دفة الحكم بيدها [٤٦] » .

ومع أن جميع القصائد التى احتواها الكتاب كان قد سبق للصحف نشرها فقد نبهت جريدة المؤيد السلطات الى خطورة الكتاب مما دفع الحكومة الى مطالبة النيابة بالتحقيق فيما ورد بالكتاب فأمرت بمصادرته ووجهت تهمة التحريض على جريمة القتل السياسى والعيب فى حق الذات الخديوية ، والحض على كراهية الحكومة [٤٧] الى محمد فريد وعبد العزيز جاويش وعلى الغاياتى ، ولما كان محمد فريد فى أوربا فى ذلك الوقت للدفاع عن القضية المصرية بمؤتمر السلام باستوكهلم فقد أجلت محاكمته لحين عودته بينما حكم على الشيخ الغاياتى غيابيا (وكان قد خرج سرا من القاهرة الى الاستانة) بالحبس لمدة سنة ، كما حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش بالحبس ثلاثة شهور .

ومع أن خصوم محمد فريد قد أشاعوا أنه لن يعود خوفا من الحكم عليه ، فانه نفى هذه الشائعة وهو فى أوربا وعاد الى مصر بعد أن كتبت كبرى بناته الآنسة فريدة خطابا تذكر له فيه الشائعات وتطلب منه العودة الى بلاده بقولها « ولنفرض أنهم يحكمون عليك بمثل ما حكموا به على الشيخ جاويش فذلك أشرف من أن يقال أنكم هربتم وما تحملتم الهوان فى سبيل وطنكم وباسم الوطنية والحرية التى تضحون بكل عزيز فى سبيل نصرتها أن تعودوا وتتحملوا آلام السجن [٤٨] .

---

(٤٦) نفسه : ص٣٣ .

(٤٧) احمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن . الجزء الثانى ص ٣٢ .

(٤٨) الرافعى : المرجع السابق .

وعاد فريد الى مصر بعــد أن جاهد فى أوربا فى سبيل الدفاع عن قضيتهــا ، وبدأت النيابة التحقيق معــه فى ٤ يناير ١٩١١ وقــد تولى استجوابه محمد توفيق نســيم ، ونظرت القضية أمام محكمة الجنايات بالقــاهرة فى ٢٣ ينــاير ١٩١١ ، وأصدرت المحكمة حكمها بحبس فريد لمــدة ستة شهور مع النفــاذ ، فقابلت الأمة من كبيرهــا الى صغيرها هــذا الحكم بالاستياء الشــديد .

وعنــد مراجعتنا للمقدمة التى كتبها محمد فريد لكتاب الشــيخ الغــاياتى وهى بعنوان « تأثير الشعر فى تربية الأمم » والتى حكم عليه بسببها بالسجن ستة أشهر نجــد أنها لا تمثل أى مسئولية قانونية فقد تحــدث فريد عن أثر الشعر فى ايقاظ الأمم من سباتها ، وهاجم استبداد حكومة الفرد لاماتتهــا للشعر الحماسى دون أن يذكر اســم هــذه الحكومة ودعا الشعراء الى عدم تملق الأمراء والتقرب من الوزراء لأن « الحكام زائلون والأمة باقية [٤٩] » وهــذا التعبير ربمــا لا يختلف فيــه اثنــان .

ويبقى لنــا أن نتساءل لمــاذا حكم على فريد بستة شهور وحكم على الشيخ جاويش بثلاثة مع أن التهمة الموجهة اليهما واحــدة .

والواقع ان محــاولة الحكومة التنكيل بفريد وارهابه حتى يعــدل عن موقفه العــدائى من الاحتلال كانت السبب وراء هــذا الحكم الذى لا يتناسب مع التهمة الموجهة اليــه فمسئولية فريد فى نظر الحكومة لا تقف عند المقــدمة التى كتبهــا لكتاب وطنيتى بل ترجع الى خطته المناوئة لهــا ، والى مبادئه التى نشرها والى خطبه التى أثرت فى نفوس

---

(٤٩) على الغاياتى : المرجع السابق ص ١١ ــ ١٥ .

الكثيرين وقــد يســأل البعض أن القضــاء وليس الحكومة هو الذى حكم على فريد بذلك الحكم الجــائر أقول ان احــالة الحكومة لجنح الصحافة الى محكمة الجنايات مع حرمان المتهم من الضمانات ربما تكون هى التى أدت الى مثل هــذا الحكم الجــائر •

وعلى كل حال فانه بعــد صدور الحكم على فريد تم عمل استفتاء فى جريدة الشعب لمعرفة رأى علماء القــانون عن السبب فى الحكم على فريد بستة شهور بينمــا حكم على الشيخ جاويش بثلاثة شهور مع أن التهمــة واحــدة فكانت الحجــة أن فريد يعرف القــانون أكثر من الشيخ جاويش •

ولقــد تلقى فريد الحكم برباطة جأش ودخله السجن ، وهنــاك بدأت مساومته فوعده بعض انصار الاحتــلال والخــديو بالعفو عنــه اذا وعــد بتغيير خطته تجاهها فرفض بكل شمم وقضى مدة الحبس فى سجن الاستئناف بباب الخلق صابرا ثابتا [٥٠] وبعــد خروجه من السجن كتب مقــالا عنوانه من سجن الى سجن عبر فيــه عن شعوره وهو فى السجن عنــد خروجه منه فقال « مضى على ستة أشهر فى غيابات السجن ، ولم استشعر أبدا بالضيق الا عنــد اقتراب أجل خروجى لعلمى أنى خارج الى سجن آخر هو سجن الأمة المصرية الذى تحــده سلطة الفرد ويحرسه الاحتــلال » • كمــا أعلن فريد أن حبسه لم يؤثر فى نمو الحزب الوطنى وانتشــاره ومبادئه بين طبقات الشعب •

وهــكذا كان مسلك فريد قبل وبعــد دخوله السجن تشريفــــا للوطنية المصرية ، ومثــلا ينير طريق المجاهدين ، فرغم أنه سليل الاغنياء

---

(٥٠) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٣٧ .

والأمراء فقــد دخل السجن وتحمل مشاقه ، ولم يقبل مساومة الخديو وأنصــاره ، وخرج من السجن وهو أقوى صلابة •

والجــدير بالذكر أنه فى اثنــاء سجن فريد تصدعت سياسة الوفاق بوفاة المعتمــد البريطانى جورست فى ١٢ يولية ١٩١١ وتعيين كتشــنر الذى لم يكن من انصار سياسة الوفاق ونتيجة لذلك سعى الخــديو الى الحزب الوطنى ليعــدل من موقفــه حياله ، ولكن فريدا رفض أن يجعل للحزب أية صلة به ، ورغم الاضطهاد الذى تعرضت له جرائد الحزب خصوصا صدور الأوامر بغلقهــا بحجة سلوكها المناوىء للحكومة فقــد كان فريد يتغلب على ذلك باصــدار صحيفة أخرى فى نفس اليوم الذى يتقرر فيــه غلق صحيفة الحزب تحت اسم آخر فأصدر الحزب الوطنى جريدة الشعب بعــد أن أغلقت السلطات جريدة العــلم ، كمــا استأنف فريد نشاطه فى أوربا وتركيــا دفاعا عن القضية المصرية •

وعنــدما القى فريد خطابه السنوى فى الجمعية العمومية للحــزب الوطنى فى ٢٢ مارس ١٩١٢ ندد فيــه باقتراح اللورد كتشــنر انشاء صندوق توفير للزراع ، وطالب أن يكون ذلك بأيدى صرافى البــلاد كما طالب بالدستور وأنهى حديثه بقوله « اللهم طهر قلوبنا من أدراء النفاق ونق افئدتنا من جراثيم الخنوع والاستسلام حتى ندرك أن لنــا كرامة تجب المحافظة عليهــا ، ووطنا يجب الدفاع عنــه بالانفس والأموال وحقــا فى الحرية تجب المطالبة به » •

ومع أن هذه الخطبة كانت خفيفة اللهجة عن خطب فريد السابقة فان الحكومة التى كانت تتربص به رأت أن القــاء فريد فى السجن يحد من نشاطه الوطنى ، ويرهب باقى الوطنيين لذلك أرسلت له اخطــارا على يد ضابط بوليس يتضمن استدعاءه الى النيــابة لاستجوابه عمــا ورد بخطبته ، ولــا أحس فريد بنية الحكومة تجاهه فكر فى مغــادرة

البـــلاد الى الخارج وقـــد أوضح ذلك فى مذكرة بقوله « ومن هـــذه اللحظة صممت على ترك مصر [٥١] » .

ولـــا كان أمر مغادرة زعيم الحزب الوطنى للبـــلاد له خطورته فى التـــأثير على الحزب فقـــد استشار فريد أعضـــاء اللجنـــة الخاصـــة بمناقشة المســـائل الهامة فى الحزب ، وعن ذلك يذكر « خابرت صادق بك رمضـــان وفؤاد بك سليم ومحمود بك فهمى المحامى واسماعيل لبيب واسماعيل حافظ أعضـــاء اللجنة الخصوصية التى كنـــا قد شكلناهـــا للمداولة فى مسائل الحزب الهامة قبل عرضها على اللجنـــة الادارية ، وفى صباح يوم الاثنين نزلت بالقطـــار من محطة الحلمية حيث كنت ساكنا الى محطة الزيتون وقصدت منزل الدكتور صادق واخبرته بالحادثة وبعزمى على السفر فوافق واتفقنـــا على الاجتمـــاع بمنزل اسماعيل بك لبيب بالحلمية الجديدة بعد الاستجواب» . وذهب فريد الى النيابة لاستجوابه وبعـــد الاستجواب سمح له بالانصراف فذهب الى منزل اسماعيل لبيب حسب الاتفـــاق ، وهنـــاك قص على زملائه ما دار فى التحقيق فقرروا بالاجمـــاع ضرورة مغـــادرته للبـــلاد [٥٢] .

وقـــد أوضح فريد الطريقـــة التى غادر بهـــا أرض الوطن فقال « ذهبت الى نادى الحزب الوطنى وذهب اسماعيل بك الى محل كوك للاستعلام عن السفن المســـافرة الى الخارج فوجدنا أن الوابور الروسى « الملكة أولجـــا » يســـافر الى الآســـتانة وبيريه فى يوم الثـــلاثاء فقـــررنا السفر بالكيفية الاتية وهى أن اســـماعيل لبيب يقطـــع تذكرة لنفسه للاستانة وأنا أســـافر من مصر يوم الثـــلاثاء باكسبريس

---

(٥١) مذكرات محمد فريد . الجزء الأول — القسم الأول ص ١٤ .

(٥٢) نفســـه .

الصباح الساعة السابعة كأنى مسافر الى الاسكندرية للمرافعة فى قضية بمحكمة الاستئناف المختلطة ثم أرافقه الى الوابور فان ضبطت أو تعرف البوليس على أقول بأنى حاجــز لوداعه وبمــا أنى سأكون بمفردى بلا شنط أو ملابس بل بلا تذكرة سفر فلا يمكن لأحــد أن يظن بأنى مســافر (٥٣) .

ومع أن الوقت كان ضيقا أمام فريد ، والظروف تقتضى منه الاسراع فى العمــل لأن الحكومة كانت جادة فى استصدار أمر بالقبض عليــه فان أمرا هــاما كان يشغل باله وهو الطريقــة التى يمكنه عن طريقهــا ابلاغ زوجته بمــا اعتزم عليه فقــد حرص على عدم ازعاجهــا ، ولكنه لم ير بدا من أن يفضى اليهــا بالأمر فأفهمها بضرورة سفره وأوصاهــا بالصبر والجــلد وطلب منهــا أن لا تخبر أولاده ولا أحدا من أسرته بمــا أعتزم عليه حتى لا ينزعجوا (٥٤).

وفى صباح الثلاثاء ٢٦ مارس استقل فريد القطــار فقابله كثيرون من اخوانه واصدقائه فأخــبرهم أنه ذاهب الى الاسكندرية للترافع فى قضــية بالمحكمة المختلطة ، وقــد رافقه فى القطار اسماعيل لبيب وتغذيا بالاسكندرية ثم قصدا الباخرة الروسية المزمع ركوبها ، وكان اسماعيل لبيب قــد اشترى لنفسه تذكرة السفر أما محمــد فريد فقد ركب بدون تذكرة حتى لا يعرف أحد عزمه على السفر فيجزوه (٥٥) .

واحتجب فريد فى محل الأدب نحو عشر دقائق عند مرور مفتش

---

(٥٣) نفســه ص ١٥ .

(٥٤) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٥ .

(٥٥) نفســه .

البــاخرة فلم يلحظ أحــد وجــوده [٥٦] وبعــد تحرك البــاخرة دفع فريد ثمن التذكرة معتذرا بأنه لم يجــد الوقت الكافى لادائه فى مكتب الشركة بالاسكندرية [٥٧] .

وعلى كل حال فقــد خرج فريد من مصر واختلف الكتاب والباحثون حول طبيعة هــذا التصرف فمنهم من يعتبر خروجه تصرفا خاطئــا لأن مكان المناضل يجب أن يكون فى أرض المعركة لا فى خارجها [٥٨] وان خروجه من مصر قــد عزل قيــادة الحركة الوطنية عن الجماهير ونقل قيادتهــا من مركز اشعاعه الى الآستانة ودول أوربا [٥٩] ، وانه ترك شعبا أحبه والتف حوله وأعجب به ومنح التــأييد لحزبه ما لم يمنحــه لأى حزب آخر وكان يجب عليه ألا يترك مصر لأنهــا مركز الجهـــاد الحقيقى وان دخوله السجن فيــه تعبئة للرأى العــام وايقاظهــا لهمم النــاس ، وشحذا لوطنيتهم [٦٠] وانه كان من الممكن الافراج عنه بقوة الضغط الشعبى [٦١] .

ومن الكتاب والباحثين من يرى أن خروج فريد من مصر كــان

---

(٥٦) مذكرات محمد فريد جـ ١ القسم الأول ص ١٧ بينما يذكر الرافعى أن فريد احتجب بغرفة اسماعيل لبيب حتى انتهى مفتش الحجر الصحى من المرور .

(٥٧) الرافعى : المرجع السابق ٢٧٦ .

(٥٨) صبرى أبو المجــد : محمد فريد : ذكريات ومذكرات ص ٢٤ .

(٥٩) محمد صــبيح : مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ـــ كفاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة — الطبعــة الثانية ١٩٦٦ ص ٣٥٠ .

(٦٠) رفعت السعيد : تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر ص ٣٨٠ .

(٦١) محمــد صبيح : المرجع السابق ص ٥٣١ .

تصرفا صحيحا لأنه كان فى نية الحكومة شل حركته وابقاؤه رهن السجون بواسطة سلسلة من المحاكمات التى لا تنتهى بحيث اذا خرج من سجنه تدبر له تهمة جديدة يدخل بسببها السجن ثانية كما أن خروج فريد من مصر سيتيح له متابعة جهاده فى الخارج ويمكنه من أن يسمع العالم صوت مصر ، ويدافع عن قضيتها فى عالم الحرية حيث كان الرأى العام العالمى فى حاجة الى فهم واضح لأبعاد القضية المصرية ، كما أن التنظيمات الطلابية خارج مصر كانت فى حاجة الى جهود فريد الذى يعتبر رجل التنظيم السياسى فى مصر (٦٢) .

وهناك فريق يرى أن خروج فريد من مصر كان من أجل ملاحقة امرأة فرنسية كان يحبها وهى « دى روشبرون » .

ومن وجهة نظرنا فان نقل فريد لميدان الكفاح فى الخارج رغم أنه يعتبر استمرارا لمواصلة الجهاد وتأليبا للرأى العام الأوربى على الانجليز فانه قد أضر بالحركة الوطنية فى الداخل ، وأصاب حركة الانبعاث الثورى بالانكماش والعنف لأن مكان الزعيم لابد أن يكون فى قلب المعركة لا فى خارجها مهما كانت ضراوة المؤامرات أو قسوة الاضطهاد .

وعلى كل حال فقد تابع فريد جهاده فى الخارج وكان أول عمل بارز هناك هو حضوره مؤتمر السلام فى جنيف فى ٢٢ سبتمبر ١٩١٢ ومطالبته بجلاء الانجليز عن مصر ، واقناع اعضاء المؤتمر بأن

---

(٦٢) الجمهورية : العدد ٥٧٧٥ فى ١٩٦٩/١٠/١٦ مقال للدكتور محمد انيس تحت عنوان كفاح فى المنفى .

الجـلاء عن مصر هو خـدمة السلام العالمى [٦٣] ، وقـد أقر المؤتمر بوجوب الجـلاء عن مصر وعـدم مشروعية الاحتـلال .

والجـدير بالذكر أنه بعـد خروج فريد من مصر سادها جو من الارهـاب وكثرة الوشايات ، واستهـدف الوطنيون لشـتى ضروب الاضطهاد فأخذت الحكومة فى مطاردة الحركة الوطنية وضرب نطـاق من التجسس حولها كما أنها أخذت تراقب تحركات فريد بأوربا فأرسلت محمـد بدر رئيس قلم الضـبط بوزارة الداخلية لمراقبته ، خصوصا وانهـا كانت تخشى تأثيره على الطلبـة المصريين فى أوربا [٦٤] .

وكان طبيعيا بعـد هجرة فريد من مصر وماتبعه من هجرة العشرات من قادة الحزب الوطنى أن تبددت جهود الحركة الوطنية فتوقفت حركة انشـاء النقابات ومدارس الشعب ، وانقسمت اللجنة الادارية للحزب على نفسها ، فقـد زاول الحزب نشاطه فى مصر دون قيـادة مباشرة مما أدى الى تدهور أحواله ويتضح ذلك جليـا من الرسـالة التى بعث بهـا أحمـد وفيق أحـد أعضاء الحزب الى فريد اذ يقـول فيها « أما نوم الحزب من بعـد سبتمبر ١٩١٢ .. فقـد كان عميقـا فاذا سمحت لى أن أقـول أن النوم ابتدأ بعـد مفارقتكم لهـذه البـلاد التعسة ، وانى أقسم لك أنى لو كنت أعرف أن مصير حركتنا سيكون كذلك بعـد مفارقتكم لكنت أول من التمس القبض عليك [٦٥] .

وقـد سـار الحزب يتدهور من سىء الى أسوأ فقـد بيعت أمتعة نادى الحـزب الوطنى بالمزاد العلنى فى ٢٦ مايو ١٩١٣ وفاء للديون

---

(٦٣) الرافعى : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٨٢ .

(٦٤) مذكرات محمد فريد . ملف رقم (١) ص ٢٠ — ٢١ .

(٦٥) أوراق محمد فريد : مظروف رقم ١٢ من أحمد وفيق الى محمد فريد فى [illegible] ١٩١٣ .

المستحقة على ايجار المبنى ، وبدا أن الحزب قد صفى ، ولم تبق الا جريدة الشعب التى كان محرروها لا يبحثون الا عما يسد رمقهم[٦٦] .

ويبدو أن فريدا قد شعر بفداحة خطأ خروجه من مصر ففكر فى العودة اليها ، وطلب من مدام روشبرون السعى له لدى كتشنر والحكومة المصرية للسماح له بالعودة الى مصر[٦٧] ولكنها لم توفق فى مسعاها .

وفى الوقت الذى كان فيه فريد فى منفاه بأوربا يدافع عن القضية المصرية دبر بعض عملاء الخديو من اللجنة الادارية للحزب الوطنى مؤامرة لاقصائه عن رئاسة الحزب بعد هجومه العنيف على الخديو فى الصحف الأوربية واتهامه بالاتفاق مع بريطانيا على اعلان الحماية على مصر وفصلها عن الدولة العثمانية فى مقابل تنصيبه خليفة للمسلمين .

ومن أجل هذا الغرض عقدت اللجنة الادارية للحزب اجتماعا استنكرت فيه مقالات فريد ضد الخديو ، وقررت مساءلته فيما نسب اليه ولما بلغ فريدا ذلك أرسل برقية الى على فهمى كامل وكيل الحزب يعلن فيها استقالته بشرط عرض هذا الأمر على الجمعية العمومية للحزب ، ولكن على فهمى كامل لم يجرؤ على دعوة الجمعية العمومية لبحث استقالة فريد ففشلت المؤامرة[٦٨] .

ونتيجة لمحاولات كتشنر المستمرة لسلب حقوق الخديو [illegible] شأنه سعى الخديو لاستعادة علاقته بزعماء الحزب الوطنى [illegible]

---

(٦٦) مصطفى النحاس : سياسة الاحتلال [illegible] القاهرة — الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ ص [illegible] .

(٦٧) الاهرام فى ١٥ سبتمبر [illegible] تحت [illegible] [illegible]) .

(٦٨) [illegible]

من مواجهة تسلط المعتمد البريطانى فبـدأ اتصالاته بمحمد فريد سرا خشية عيون الاحتـلال ، ولكن فريد تشكك فى نوايا الخـديو ، ورفض أن يجعل للحزب الوطنى أية صـلة به .

وتعددت المساعى من أجل التوفيق بين فريد والخـديو فتقابلت مدام روشبرون مع فريد فى محاولة لاقناعه بالصلح مع الخديو ، وقـد أخبرهـا فريد بأنه يقبل الصلح بشرط أن يكون الكلام بينه وبين الخديو بدون وسـيط (٦٩) ولمـا كان الخديو يخشى أن يصل نبـأ مقابلته لفريد الى عيون الاحتـلال تأخر اتمـام الصلح وأرسل الخديو الى فريد أحد أصدقائه منـذ عهـد الدراسة وهو توفيق بك زاهر القـاضى لمفاتحته فى موضوع الصلح بينهمـا ، ولمـا عرض الأمر على فريد ذكر أنه لا يعـارض فى اتمـام الصلح بشرط أن يتصل الخـديو برجال الحزب الوطنى فى مصر ويقبـل شروطهم .

واستمر الخديو يبذل محاولاته لجذب فريد الى صفه فأرسل بعض رجاله لهـذا الغرض ، وأخيرا وافق فريد على الصلح مع الخـديو بشرط أن يوافق الخديو على اعلان الدستور .

وقد تمت المقابلة بين فريد والخديو فى الآستانة حيث تم الصلح بينهما ووعد الخديو باصدار مرسوم يعلن فيه الدستور كمـا عبر عن ارتياحه للصلح مع فريد الذى وصفه بأنه رجل مبادىء لا يتغـير مهما قاسى فى سبل المحافظة على مبادئه ، وتنفيذا لوعد الخـديو أصـدر منشورا فى ١١ نوفمبر ١٩١٤ باعلان الدستور الكامل فى مصر (٧٠) ولكن قيـام الحرب واعلان الاحكام العرفية وعزل عباس الثانى حالت جميعا دون تنفيـذه .

---

(٦٩) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ٢ ص ٦٤ .
(٧٠) عن نص هذا المنشور انظر : الرافعى — محمد فريد ص ٣٤٤ — ٣٤٥ .

وكان طبيعيا بعــد أن أعلن الانجليز حمايتهم على مصر وتمسكوا باحتلالهــا أن ينضم فريد الى الجانب المعادى لانجلترا ، وكان عليــه أن يستعين بالقوى الدولية المناوئة لهم وبوجه خاص تركيا والمــانيا ، ولمــا اتفقت مصلحة كل من تركيا والمــانيا مع مصلحة الحزب الوطنى على ضرورة ارسال حمــلة عسكرية الى مصر بقصــد طرد الانجليز منها تشكك فريد فى نوايا الاتراك اذا ما نجحت الحمــلة مما دفعه الى أن يطالب زعمــاء الاتراك أن يعلنوا أن هدفهم من الحمــلة هو استقلال مصر وجعلهــا ولاية ذات طابع خاص كمــا أن فريدا كان يتشكك أيضــا فى نوايا الألمــان نحو الوطنية المصرية (٧١) وعلى كل حــال فقد فشلت الحمــلة التركية على مصر كمــا حالت الحرب بين فريد ومن بين نشاطه الوطنى فى أوربا ، وذلك لتوقف معظم الصحف عن الصدور ، وصعوبة اتصــال الدول ببعضهــا ، وانشغال النــاس باخبــار الحرب يضاف الى ذلك ان الدعم المــادى الذى كان يصل الى فريد من مصر قــد توقف فقــد كان يصــله قبيل نشوب الحرب من عائلته مبلغ عشرين جنيهــا شهريا ، ولكن نشــوب الحــرب أدى الى انقطاع هــذا المبلغ عنــه فاشتدت به الضائقة المــالية لدرجة أنه رهن بعض ثيــابه لدى المرابين اليهود فى المــانيا ، كمــا كان يقتصد من نفقاته فسكن فى غرفة واحدة ، وكان يتغذى بفرنك واحــد ثم يأكل غذاءه بكوز من الذرة المشــوى وذلك اقتصادا فى النفقة (٧٢) كمــا أنه لم يجــد العناية الطبية الكافية عنــد اصابته بمرض الاستسقاء لقلة نقوده ، وأشيع أنه كان يحتطب لكسب قوت يومه وانه كان يلبس بدلة مرقعة (٧٣) .

وهــذا لا يعيب فريدا فى شىء ، ولا يخجلنــا أن نذكره ففريد الذى ولد كمــا يولد أبناء الأمراء ، وعاش فى بداية حيــاته كمــا كان

---

(٧١) زكريا سليمان : المرجع السابق ص ٢٠٢ .
(٧٢) روز اليوسف : العدد ١١١٨ فى ١٥ نوفمبر ١٩٤٩ .
(٧٣) مجلة الهــلال . مجلد ١٩٣٠ مقال للاستاذ طاهر الطناحى تحت عنوان « مثال البذل والجهاد محمد بك فريد » .

يعيش أبنــاء الحكام وصل به الحــال كمــا ذكرنا من أجل مصر ، ومن أجل التمسك بالمبادىء ، وهــذا شرف كبير ليس لفريد فحسب بل يعتبر هالة فخــار للوطنية المصرية أيضــا •

ولـمــا وضعت الحرب أوزارهــا فى نوفمبر ١٩١٨ وعقــد الصلح فى باريس أرسل محمد فريد تقريرا فى ٥ ديسمبر ١٩١٨ الى الرئيس الامريكى ويلسون يطلب فيه استقــلال وادى النيــل وضرورة تمثيل مصر فى مؤتمر الصلح وقبولهــا فى عصبة الأمم •

وعندما قامت ثورة ١٩١٩ لاحت على شفتى محمد فريد ذلك الزعيم الغــائب عن وطنه وأمته وأهــله وزوجته ابتسامة الأمل ، ووجــه لامتــه من بعيــد أعظم تحيــة لثورتها (٧٤) فقــال « نشكر الله على هــذه النتيجة الحسنة التى دلت على أن ما ألقــاه مؤسسوا الحركة الوطنيــة من البذور فى تلك الأراضى الخصبة قد نبت وترعرع ســاقه ثم أزهر وظهرت ثمــاره (٧٥) •

كمــا أرسل فريد يطلب من مؤتمر الصلح التــدخل لتقرير مصير الأمة المصرية والاعتراف باستقلال وادى النيل استقــلالا تاما ، ومنع عسف المحتلين بمقدرات الشعب المصرى •

وعندما سافر الوفــد المصرى الى بارس برئاســة سعد زغلول لم يتصل أحــد من أعضــائه بفريد رغم تأييده لهم وكتابته برقيــة الى سعد يتمنى فيهــا التوفيق والنجاح للوفــد فى مهمته فان ســعدا لم يرد عليــه ، وقــد يرجع ذلك الى سببين :

١ — رغبة سعد فى ألا تعرقل مســاعى الوفد فى مؤتمر الصلح بسبب انحيــاز فريد الى جانب الالمــان خــلال الحرب •

---

(٧٤) فتحى رضوان : مشهورون منسيون . القاهرة ص ٢٤ .
(٧٥) الرافعى : ثورة ١٩١٩ جـ ١ ص ٦٧ .

٢ — ما بين سعد وفريد من حزازات قديمة ، وان كانت الوطنيــة الحقــة تجعــل الأفراد يتركون حزازاتهم جانبــا فى مواجهة الأخطار التى يتعرض لهــا الوطن •

وبعيدا عن الأهل والوطن اشتدت علة المرض بفــريد حتى وافاه الأجل فى ١٥ نوفمبر ١٩١٩ ، وكان رجال الوفــد فى باريس فى ذلك الوقت فعرض بعضهم على سعد زغلول السفر الى المــانيا لنقل رفات فريد الى مصر وعمل اللازم نحو تكريمه ، ومشاركة الأمة فى أحزانهــا فكان رد سعــد هو رفض طلبهم باصرار بحجة أن أموال الوفد يلزم أن تصرف على القضية المصرية لا على جنازات الأفراد •

ولم ينل شرف نقل رفات فريد أحــد من رجال الوفــد بل نال هــذا الشرف الحاج خليل عفيفى أحــد التجار بالزقازيق فنقــل رفاته على نفقته الخاصة ، ووصل جثمــان فريد الى القاهرة فى يونية ١٩٢٠[٧٦]

وهكذا كانت حياة فريد سلسلة من التضحيات فى سبيل مصر فقــد احتمل الفقــر وهو ابن الاثرياء ، وقضى زهرة حياته فى سبيل مصر ، وضحى بمستقبله من أجلهــا ، ولم يتحول عن مبادئه بالرغم من التهديد والوعيــد ، وكانت أراؤه توضح بعــد نظره الســياسى وفكره الناضج فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية فقــد ابتكر أســاليب جــديدة فى الكفــاح لم تكن موجودة أيام مصطفى كامل فمــد فروع الحــزب فى الأقاليم حتى تزداد شعبيته فى أنحاء البلاد ، وطرح أفكارا ســياسية واجتماعية جــديدة فنــادى بالعدل الاجتمــاعى والاهتمــام بأحوال العمال والفلاحين ، وحاول الربط بين حركة المثقفين والطبقة العــاملة فى مواجهة الاحتــلال ، وعمل على انشــاء مدارس الشعب الليلية لتعليم

(٧٦) محمد على علوبه • ذكريات اجتماعية وسياسية • مخطوط بدار الوثائق ص ٨٨ •

العمال بالمجان ، ولم يترك منبرا عاليا الا وارتقاه ولا هيئة داعية لنصرة الشعوب والأمم الا وتعاون معها •

وكان فريد أول من ربط حركة الوطنية فى مصر بحركة السلام العالمى فاعتبر أن الجلاء عن مصر خدمة للسلام العالمى كما ربط استقلال مصر بقضية الاشتراكية الدولية بعد أن ارسل لينين رئيس الحكومة الروسية تلغرافا الى دول العالم يطالب فيه تحرير مصر والهند [٧٧] •

يضاف الى ذلك تنظيمه للعمل الوطنى بين الطلبة المصريين فى أوروبا ومع ذلك فالزعماء بشر وكل زعيم عرضة لأن يصيب وأن يخطىء فى آرائه وقراراته وفريد كان يفتقر فى زعامته الى المرونة السياسية فقد نظر الى الخديو بمنظار اسود فى كل الأمور ، ولم يستطع أن يستثمر الجوانب المفيدة منه للحركة الوطنية كما فعل سلفه مصطفى كامل كما أنه لم يستطع وأد الخلافات التى نشبت داخل الحزب بل كان تشدده فى بعض المواقف يزيد من حدتها لدرجة أن استقال من اللجنة الادارية بعد توليه الرئاسة بعض مؤسسى الحزب مثل أحمد فائق ومحمود أنيس وعمر سلطان وويصا واصف يضاف الى ذلك أن خروجه من مصر ، ونقل مركز الكفاح الى أوربا كان خطأ فادحا أدى الى عزل الحركة الوطنية عن جماهيرها كما أدى الى انحسار دور الحزب الوطنى فى قيادة الأمة •

وعلى كل حال فان ذلك لم يقلل من تضحيات فريد من أجل مصر ، فهو الذى ضحى بكل ما هو عزيز لدى الانسان ، فجعل حياته فداء لوطنه ، وقضى عمره يزكى روح الوطنية فى البلاد ، وينفخ فى رمادها حتى تأججت نيران ثورة ١٩١٩ •

---

(٧٧) مذكرات محمد فريد . ملف رقم ١٠ ص ٢٦٧ .

المصـــادر والمراجع

أولا — وثائق غـير منشورة :

(أ) دار الوثائق القومية بالقلعـة •
محافظ عابدين — ديوان خديو • التماسات جماعية • محفظة رقم (١) ومحفظة رقم (١٢) •

(ب) مجـلدات وزارة الخـارجية البريطانية Foreign Office المصورة من دار الوثائق العـامة بلندن ومودعة بكلية الآداب جامعـة عين شمس وتحوى على تقارير معتمدى انجلترا فى مصر المرسلة الى وزارة الخارجية البريطانية فى الفـترة من ١٩٠٩ — ١٩١٩ •

ثانيـا — المذكـرات :

١ — مذكرات سعد زغلول • كراسات رقم ٩ ، ١٧ ، ١٨ •
٢ — مذكرات محمـد على علوبة • ذكريات اجتماعية وسياسية •
٣ — مذكرات محمد فريد • الجزء الأول — القسم الأول ملف رقم ١ وملف رقم ١٠ ومظروف رقم ١٣ •

ثالثا — وثائق منشـورة :

تقرير عن المـالية والحـالة العمومية فى مصر والسودان ١٩٠٨ مرفوع من جورست الى جراى •

رابعـا — المراجع العربيـة :

١ — أحمـد بهاء الدين : أيام لها تاريخ • القاهرة • روز اليوسف العـدد الثالث أبريل ١٩٥٤ •
٢ — أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن الجزء الثانى — القسم الثانى القـاهرة ١٩٣٦ •

٣ — رفعت السـعيد (الدكتور)
تاريخ الحركة الاشتراكية فى مصر .

٤ — زكريا سليمان (الدكتور)
الحزب الوطنى ودوره فى السياسة المصرية ١٩٠٧ — ١٩٥٣ القـاهرة ١٩٨١ .

٥ — صـبرى أبو المجـد :
محمـد فريد . ذكريات ومذكرات . القاهرة — كتاب الهلال .

٦ — عبد الرحمن الرافعى :
محمد فريد رمز الاخـلاص والتضحية . القاهرة — النهضة المصرية الطبعة الثانية ١٩٤٨ .

٧ — على الغـاياتى :
وطنيتى . القـاهرة — مطبعة منبر الشرق . الطبعـة الثالثة ١٩٤٧ .

٨ — فتحى رضـوان :
مشهورون منسـيون . القاهرة — كتاب اليوم .

٩ — محمـد حسين هيكل :
مذكرات فى السياسة المصرية . ج ١ . القاهرة .

١٠ — محمـد صـبيح :
مواقف حاسمة فى تاريخ القوميـة العربية — كفـاح شعب مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين . القاهرة — الطبعة الثانية ١٩٦٦ .

١١ — مصطفى النحـاس :
سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩٠٦ — ١٩١٤ القـاهرة الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٥ .

١٢ — يونان لبيب (الدكتور) :
الحياة الحزبية فى مصر فى عهــد الاحتلال البريطانى •
القاهرة الانجلو المصرية ١٩٧٠ •

خامسا — المراجع الأجنبيــة :

Blunt : W. S :
My Diaries Vol. II. London.

ســادسا — الدوريات :

١ — الأهــرام : نوفمبر ١٩٣٦ ، سبتمبر ١٩٧٢ •
٢ — الجمهورية : أكتوبر ١٩٦٩ •
٣ — روز اليوسف : نوفمبر ١٩٤٩ •
٤ — العــلم : أكتوبر ١٩١٢ •
٥ — اللواء : أبريل ومايو ١٩٠٨ ، ويناير ١٩١٠ •
٦ — منــبر الشرق : ١٩٥٢ •
٧ — المؤيــد : مارس ١٩٠٨ •
٨ — الهــلال : ١٩٣٠ •

ملحق رقم (١)

مبادىء وقانون

الحزب الوطني

ان من يتسامح في حقوق بلاده ولو مرة
واحدة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة
سقيم الوجدان ؟ مصطفى كامل

اننا نعرف كيف نصبر على المكاره
ولكننا لا نعرف التسليم لأعدائنا
والتنازل عن مطالبنا ؟ محمد فريد

طبق الأصل المحفوظ بالسكرتارية
وموقع عليه من أعضاء اللجنة الادارية

الطبعة الثانية
١٣٤٠ — ١٩٢٢

المبادىء

أولا — استقلال مصر مع سودانها وملحقاتها استقلالا تاماً غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة أجنبية أو أي قيد يقيد هذا الاستقلال

ثانياً — إيجاد حكومة دستورية في البلاد بحيث تكون السيادة للامة وتكون الهيئة الحاكمة مسئولة أمام مجلس نيابي تام السلطة

ثالثاً — احترام المعاهدات الدولية والاتفاقات المالية التي ارتبطت بها الحكومة المصرية لسداد الديون احتراماً لا يمس سيادة البلاد

رابعا — تعهد الشعور الوطني وتنميته والمحافظة على تضامن الامة واتحاد عناصرها

خامساً — السعي في تحسين الاحوال الصحية والعمل على ترقية الاحوال الاجتماعية

سادساً — العمل على نشر التعليم في جميع البلاد على أساس وطني صحيح بحيث ينال الفقراء نصيبهم منه والحث على تاسيس معاهد العلم وارسال الرسالات العلمية وفتح المدارس الليلية للصناع والعمال

سابعاً — ترقية الزراعة والصناعة والتجارة وكل مرافق الحياة

ثامناً — نقد الاعمال الضارة بكل صراحة والاعتراف بالاعمال النافعة والتشجيع عليها وارشاد الحكومة الى خير الامة ورغباتها والاصلاحات اللازمة لها

تاسعاً — المحافظة على روابط المحبة والصفاء بين الوطنيين والاجانب

عاشراً — احكام العلاقات الودية وتبادل الثقة بين مصر وجميع الدول الاخرى

يعتمد الحزب الوطنى فى الوصول الى تحقيق مبادئه على جميع الوسائل المشروعة جاعلا شعاره لا يأس مع الحياة والى الامام دائماً تحقيقاً للغرض الاسمى

القـانون

قبول الاعضـاء

(المـادة ١)

يقبل في الحزب الوطنى كل مصرى رشيـد حسن السيرة قويم الاخلاق قابلا مبادئ الحزب وغير منتم لحزب آخر ولم تصدر في حقه احكام ماسة بشرفه وكرامته

والاعضاء اما عاملون أو منتسبون

فالعضو العامل من يدفع اشتراكاً سنوياً لا يقل عن ثلاثة جنيهات مصرية

والمنتسب من يدفع دون ذلك

(المـادة ٢)

متى قدم طلب للدخول في الحزب يعرض على اللجنة الادارية أو التنفيذية عند الاقتضاء لتقرير قبوله أو رفضه ولا يعرض الطلب على اللجنة الا اذا كان مصحوباً بقيمة الاشتراك السنوى

واجبات الاعضاء

(المـادة ٣)

يجب على كل عضو من أعضاء الحزب

أولا — أن يدفع للحزب مقدما اشتراكه السنوى

ثانيا — ان لا ينشر شيئاً ولا يلقي خطابة ولا يرسل مراسلات ولا يتحادث ولا يعمل عملا ما بصفته عضواً فى الحزب الوطنى الا بعد موافقة اللجنة التنفيذية على ذلك

ثالثا — ان لا ينقد علانية اعمال الحزب الوطني ولا الجمعية العمومية ولا لجانه وعليه اذا رأى ما يدعو الى النقد أن يقدمه كتابة الى سكرتارية الحزب لتعرضه على اللجنة التنفيذية لتفصل فيه وله حق الاطلاع على قرارها

الجمعية العمومية

(المادة ٤)

تؤلف الجمعية العمومية من الاعضاء العاملين المسددين جميع اشتراكاتهم لغاية تاريخ انعقاد الجمعية العمومية

(المادة ٥)

تجتمع الجمعية العمومية بصفة عادية في شهر ديسمبر من كل سنة باسم « المؤتمر الوطنى » وتستمر منعقدة حتى تنهى ما لديها من الاعمال ويكون اجتماعها صحيحاً بمن يحضر من الاعضاء في اول جلسة ويجب دعوة الاعضاء قبل الاجتماع بخمسة عشر يوماً على الاقل بالطريقة التي تقررها اللجنة الادارية ولهذه اللجنة أن تقدم أو تؤخر تاريخ انعقاد الجمعية العمومية

(المادة ٦)

تجتمع الجمعية العمومية بصفة غير عادية بناء على قرار من اللجنة الادارية يصدر بأغلبية ثلثي أعضائها

اختصاص الجمعية العمومية

(المادة ٧)

أولا — انتخاب أعضاء اللجنة الادارية

ثانياً — النظر فى اقتراحات الإعضاء التى تكون قد تقدمت لسكرتارية الحزب قبل ميعاد انعقاد الجمعية بأسبوع على الاقل مع مراعاة ما نص عليه في الفقرة الثالثة من المادة التاسعة

ثالثا — التصديق على الحساب الختامي للعام الماضى وتقرير مشروع ميزانية العام المقبل

رابعا — تعديل واضافة أي مادة في القانون

اللجنة الادارية

(المادة ٨)

تؤلف اللجنة الادارية من خمسة وعشرين عضواً ومدتها ثلاث سنوات واعضاؤها ينتخبون بطريق الاقتراع السرى و بالاغلبية المطلقة للاعضاء الحاضرين فى الجمعية العمومية ولهذه اللجنة ان تنتخب بدل اعضائها المترفين والمستقيلين والمخرجين منها وذلك للمدة الباقية لها

ويجوز لهذه اللجنة أن تقيل من عضويتها من يغيب عن حضور جلساتها اكثر من ثلاث مرات متوالية

اختصاص اللجنة الادارية

(المادة ٩)

أولا — تنوب عن الحزب فى كل أعماله فتقرر جميع الامور التى تراها واجبة وتامر بصرف ما يجب صرفه من المال وتكون لها

في الاحوال الاستثنائية جميع اختصاصات الجمعية العمومية

ثانياً — تنتخب من بين أعضائها امين الصندوق والسكرتير واعضاء اللجنة التنفيذية

وللجنة الادارية أن تنتخب من بين اعضائها رئيساً للحزب الوطني وذلك بأغلبية عشرين عضواً من اعضائها

ثالثاً — تنظر اقتراحات الاعضاء المقدمة للجمعية العمومية فتقرر عرضها أو رفضها

رابعاً — تراجع الحساب الشهري وتصدق عليه وتفحص الحساب الختامي السنوي وميزانية السنة المقبلة قبل عرضهما على الجمعية العمومية

خامساً — تشكل لجان مؤقتة لاجراء أعمال مخصوصة ينتهي عملها بانتهاء مأموريتها

سادساً — تضع كافة النظامات التفصيلية وتصدر اللوائح الداخلية

اللجنة التنفيذية

(المادة ١٠)

تتألف اللجنة التنفيذية من تسعة أعضاء من أعضاء اللجنة الادارية يكون من بينهم رئيس الحزب وامين الصندوق والسكرتير أما الباقون فتعينهم اللجنة الادارية من بين أعضائها

وبجتمع اللجنة التنفيذية بصفة عادية مرة في كل أسبوع على الاقل واجتماعها يكون صحيحا متى حضره خمسة من الاعضاء وقراراتها تكون صحيحة بأغلبية الحاضرين وتجتمع بصفة غير عادية بطلب أحد أعضائها

اختصاصات اللجنة التنفيذية

(المادة ١١)

اولا — ادارة أعمال الحزب المستعجلة
ثانيا — تنفيذ قرارات اللجنة الادارية
ثالثا — مراقبة تنفيذ قوانين ولوائح الحزب
رابعا — الاشراف على اعمال أمين الصندوق والسكرتير

مالية الحزب

(المادة ١٢)

لا يقبض أحد أموال الحزب غير امين الصندوق و يكون ذلك بمقتضى قسائم مختومة بختم الحزب وممضاة من الامين المذكور

(المادة ١٣)

تودع أموال الحزب فى بنك تختاره اللجنة التنفيذية باسم امين صندوق الحزب

(المادة ١٤)

انابة امين الصندوق والسكرتير لغيرهما من أعضاء اللجنة التنفيذية جائزة بعد تصديقها على هذه الانابة

سكرتارية الحزب

(المادة ١٥)

يجب على سكرتير الحزب
أولا — ارسال تذاكر الدعوة لحضور الجلسات

ثانيا — تحرير محاضر الجلسات والتوقيع عليها منه وممن يكون رئيسا للجلسة

ثالثا — عرض طلبات أعضاء الحزب وآرائهم ومشروعاتهم على اللجنة المختصة للفصل فيها

رابعا — النيابة عن الحزب في توقيع المراسلات الصادرة وفي استلام المراسلات الواردة

أحكام عمومية

(المادة ١٦)

كل عضو في الحزب الوطنى له حق الاشتراك فى أنديته بشرط قيامه بالشروط الواردة فى قوانين هذه الاندية

(المادة ١٧)

مركز الحزب الوطنى بناديه المركزى بالقاهرة

(المادة ١٨)

اذا صدر من أحد الاعضاء فعل مخالف للشرف أو لمبادئ الحزب تجتمع اللجنة الادارية بناءاً على طلب اللجنة التنفيذية وتنظر فى الامر فاذا رأت ضرورة فصل ذلك العضو من الحزب قررت فصله وشطبت اسمه ولا يكون قرارها فى ذلك صحيحا الا بالاغلبية المطلقة لعدد أعضاء اللجنة

(المادة ١٩)

كل عضو لم يسدد قيمة اشتراكه السنوى يعرض أمره على اللجنة الادارية لتقرر ما تراه بشأنه ولها الحق فى اعفائه من دفع الاشتراك كله أو بعضه

ملحق رقم (٢)

المصدر : مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق مصطفى كامل (الخطب)

الهيئة العامة للكتاب (١٩٨٤)

خطـاب
بمناسبة أول اجتماع للحزب الوطنى (*)

أصدقائى الأعزاء :

اذا كنت قد قضيت حياتى فى كتابة تأثرى العميق والفرح العظيم اللامحدود والذى تركه فى نفسى هذا الاجتماع فاننى سوف لا أصل أبدا للتعبير عن كل ماأحس به ·

هنا فى الواقع التجلى الوطنى الأول والعظيم والذى قام به كثير من المواطنين المصريين والذين جاءوا ليقولوا للعالم آجمع : نحن حزب الأمل ، نحن حزب الحياة ، نحن حزب الوطن ، نحن حزب الاستقلال ·

(★) ألقيت فى دار اللواء يوم الجمعة ٢٧ ديسمبر ١٩٠٧ بمناسبة اول اجتماع لجمعية الحزب الوطنى ، وقد حضرها عدد غفير من مختلف طبقات الامة ، من أعيان ومزارعين ومحامين وتجار واطباء ومهندسين ، حيث انتخب الحاضرون بالاجماع مصطفى كامل مدى الحياة ، فوقف مصطفى كامل وارتجل الكلمة الآتية :

« ايها الاخوان :

انكم حملتمونى طول حياتى حملا ثقيلا على كاهلى ، فانا قبل كل شىء اشكر لكم ثقتكم بى ، هذه الثقة التى كانت عونا لى فى كل اعمالى ، واقول لكم انكم انتم قوتى وساعدى بصفتكم من خير امة أوقفت لخدمتها حياتى وقواى وعقلى وقلبى وقلمى ولسانى وصحتى ، وكم من صديق قال لى اشفق على صحتك التى لا تدخر وسعا فى بذلها ، ولكن الواجب لبلادى ووطنى ينسينى هذه النصائح الثمينة ، فانا الآن اذا قبلت اختياركم لى رئيسا فانما هو لثقتى بان كل واحد منكم اصبح حياتى وشعورى واعتمادى ، بل صار كل منكم فى الشعور الوطنى أكبر من مصطفى كامل » ·

(الرافعى : مصطفى كامل ، ص،ص ٢٦٥ ، ٢٦٦) · وقد وافق الحاضرون أيضا على مبادىء الحزب وعلى لائحته وانتخبوا الأعضاء الثلاثين للجنة الادارية وقد أورد الرافعى اسماءهم ص ٢٦٧ من المرجع نفسه ·

وهذه الخطبة مترجمة عن اللغة الفرنسية عن صحيفة L'Etandard Egyptienne.

من الآن فصاعدا : لا حزن عزيزتى مصر لايأس لاضغوط ! نعم ان هذا الاجتماع هو القاعدة الصلبة لاستقلال البلاد • ان أعداء مصر ينكرون وجود الحزب الوطنى ولكن هو موجود بالفعل ويعمل ، وأعتقد أنه من واجبى أن أعلن اليوم اعترافى العميق بالجميل نحو الأصدقاء النبلاء الذين ساعدونى فى هذه السنوات الطوال بمشوراتهم ونصائحهم وآرائهم •

ففى العام الماضى وبمجرد أن طلبت مساعدتهم لتأسيس ليتندار راجبسيان ، والاجبشيان ستاندرد حتى قدموا لى فى التو والحال العروض الضرورية اليوم ، وقد خطت مصر خطوات كبيرة فى طريق الحياة القومية ، واليقظة الوطنية ، فقد تحتم علينا واجب هو فتح أبواب الحزب لكل مصرى وطنى مخلص •

فنحن لانكون فقط حزبا سياسيا ، ولكن قبل كل شىء فنحن حزب يقظة الوطن ، ولذلك يجب علينا ألا نهمل أبدا انتشار التعليم فى كل طبقات الشعب (١) ، انه لمن المستحيل أن يوجد فى هذا البلد حزب يمثل الأمة بحق باستثناء الحزب الوطنى ، فالواقع أنه بفضل تحقيقه لهدفه فقط سوف تصبح مصر فى الصفوف الأولى للأمم المتقدمة ، فهو يدعو الى الاستقلال الذى هو أساس كل سعادة ، كما أنه يدعو الى تطور التعليم حتى لايكون تحت سماء مصر أى جاهل كما أنه يدعو الى تقريب المسافة بين الدولة وبين الشعوب الأخرى ، وقبل كل شىء فهو يرمى الى جعل المصرى انسانا بأسمى معانى تلك الكلمة ، واننى لاأعنى (بمصرى) هذا الذى نراه فقط فى المدن يكد ويعمل ، ولكننى أعنى المصرى هذا الفلاح الذى قضى قرونا طويلة متصفا بأنه ملك لحاكمه دون ارادة أو اختيار (٢) •

فأسمى عمل نقوم به هو انهاض هذا الفلاح العزيز بشعوره

---

(١) احتل التعليم مكانته فى دعوة مصطفى كامل كما رأينا على طول خطبه ، حتى فى مبادىء الحزب التى نادى بها •

(٢) كان النشاط الحزبى آنئذ مركزا فى القاهرة والاسكندرية وبعض عواصم القطر الكبرى ، أما الريف فلم يكن له نصيب واضح فى هذا العمل الحزبى والسياسى ، ولذا لم يكن هناك من يفكر فى فلاح الأرض والناس • الذى عناه هنا مصطفى كامل ، وعندما فكروا فيه ظهر فى الصور ةالفلاح المالك الغنى • كأعضاء حزب الأمة ، فكانت لفتة من مصطفى كامل لهذا المواطن الذى كان فى تلك الفترة فى حاجة الى من يأخذ بيده •

بكرامته ، لأنه يمثل الشجاعة المصرية ، كما أنه مصدر رخائنا وسعادتنا • فليحى اذن هذا القرن الذى يشيد فيه التاريخ بأن الفلاح ألقى أثقال القرون الماضية ، وأصبح رجلا حرا بفضل أبناء وطنه المثقفين المتفتحين الذين صارعوا من أجل حريته وسعادته •

نحن لانسعى أن نمجد حزبنا ، ولكننا نستطيع أن نقول جهارا أن الأمة بأكملها تعتبره حزب الاخلاص ، حزب الصدق ، حزب الصراحة ، حزب الكرامة ، وأن كل حزب أخذ يتأسس لكى يعارضه ويعمل على انشقاق المصريين باقتراض بعض من مشاريعه •

اذا دعونا العالم أجمع للدخول فى هذا الحزب فنحن لاندعوهم باسم سلطة عليا أو معلم نافذ الكلمة ، ولكننا ندعوهم باسم وطنيتهم ، وباسم شرفهم ، وباسم حقوق مصر ، باسم كرامة الانسانية ، باسم ذكريات آبائهم وأجدادهم ، باسم مصالح أبنائهم وأحفادهم •

أصدقائى الأعزاء :

منذ أن تأسس الحزب الوطنى على قواعده الحديثه (١) التفت حوله الدسائس من جميع الجهات الى حد أن وصل أن مخلوقات الاحتلال الذين يسمون أنفسهم مستشارى الدولة ــ لكى يخدعوها ــ اتهموا ذلك الحزب باتهامات جائرة (٢) •

هل تعرفونهم أيها السادة ؟ نعم انكم تعرفونهم ، فقد اتهموا الحزب الوطنى باتباع العرب فى الطريق الذى أخذوه منهم يريدون اشاعة أنه يوجد فى البلد حركة ثورية يخشى عواقبها ، اننى سوف لاأجهد نفسى فى أن أريكم الخطر العظيم الذى يريد هؤلاء الخونة اقحام الخونة فيه بوصمهم اسمى بهذا الاتهام ، بينما أقول ان أنبل حزب هو هذا الحزب الذى يفطن جيدا لمطالب الوطن •

شىء غريب حقا ، وحقا ألف مرة ، هل تصدقون أيها السادة أنتم

---

(١) قواعده التى أوضحها فى خطبته السابقة •

(٢) اتهم الانجليز وصحيفتهم المقطم ورجال الحكومة أعضاء الحزب الوطنى بالتطرف وذلك لاثارة الرأى العام ضدهم • الا أن مصطفى كامل رحب بهذا طالما كان التطرف فى الصالح العام لمصر • وقد كتب مصطفى كامل الى جوليت آدم فى ٥ يونيو ١٩٠٧ أنه : « علم باتفاق الخديو مع جورست على محو التأثير الذى أحدثه فى العام الماضى ، والذى تجلى فى حادثة دنشواى •• وأنه قد تألفت جماعة من الملتفين حول الخديو برئاسة الشيخ على يوسف صاحب اللواء تلقبنا بالمتطرفين المجانين لأننا نطالب صباحا ومساء بجلاء الجنود الانجليزية عن البلاد » •

ياحكماء ياعادلين ويامثقفين. اننا نستطيع أن نقارن ثورة عسكرية(١) متنافرة ومجحفة ، قادت مصر الى ضياع استقلالها ، والتى بقادتها الجهلة والطامعين الذين لم يحترموا عرش الخديو ، أساس قوة الأمة ، وأساس حكمها الذاتى ، هل تعتقدون أننا نستطيع أن نقارن الأساليب المستعملة بواسطة محركة تلك الفتن والثورات ، بالأخرى المستعملة من الحزب الوطنى والتى أساسها الحكمة والعلم والسلاح والكفاح ، والتى لاتلجأ الا الى الأساليب المعاصرة والمتحضرة ، الكفاح ضد الجهل والأحكام القياسية القائمة على الدين ، واحترام الحقوق التى حصلت عليها مراكز القوى فى بلدنا ، والتوافق بين الحضارة الغربية والحضارة الشرقية ٠

هل من الممكن مقارنتنا بالاعراب ، نحن أنصار السلام ، النظام والقانون ، واعطاء المكانة الصادقة للخديو ، هل من الممكن اتهامنا بالمبالغة والضعف عندما يعلم التاريخ للشعوب ، ان الحصول على الحرية والاستقلال لايكون الا باتباع الأساليب السلمية أو الشدة والتى كنا الأوائل فى اتباعها وأعلناها للعالم أجمع قائلين للمصريين ان الذى يقلق سلام بلاده يرتكب أبشع الجرائم ضد وطنه ؟

انه لمن المستحيل أيضا أن أعداء مصر كانوا مقتنعين بأن الحزب الوطنى هو حزب لاسلمى ولكن الأعداء تنشر هذه الاتهامات دون أن تثق بها وتدفع عمالها ومناصريها أن تروجها للانتقام منا لأننا نطالب بالاستقلال ٠

تلك الكلمة النالبة علينا كلنا هى السهم الذى يمزق قلب أعداء مصر الا ترون أن مخلوقاتهم تلك التى طالبت بالاستقلال منذ عشر سنوات مضت تنكر الآن مقدرة مصر على الحصول عليه ؟ كيف أنها كانت قادرة قبل ذلك والآن عاجزة عليه ؟٠

كيف أن انجلترا تعرضت باتفاق درومندوولف المبرم فى سنة ١٨٨٧ سيكون سهلا فى سنة ١٨٩٠ وكيف أنها أصبحت تسخر من الذين يخدمونها بكلام لا معنى له اليوم ٠

---

(١) يقصد الثورة العرابية . وهنا يعود مصطفى كامل ــ وهو فى آخر حياته ــ يقرع طبل النقد بالسلب لجهة عرابى ويشبعه بهذه الاوصاف ٠

سادتى : ان الأسى والضرر لايمكن ان يصيبنا الا من اخواننا فى الوطن الذين يخــونون وطنهم والذين ينشرون اتهــامات الأعــداء ويفخمونها مع علمهم اليقين بأنهم يكذبون ، يخونون ، وأنهم خارج الوطن ، وأنهم يخدعون الوطن والمواطنين وأنهم يحاربونهم فى أعز آمالهم ٠

تعرفوا عليهم وادركوا أن فى مقدمة أعداء وطننا الغالى وتذكروا تلك العبارة التى قالها النبى «من غشنا فليس منا» ٠

سادتى : ان الأمة المصرية قد خبرت خلال قرون سياسة الاتفاق مع حكامها ، ولم تلق من جانبهم ســوى ضغط وارهاب وظلم وسلب لحقوقها ، واحتقار لأنهم يعتبرونها كأنها ملكهم هذا عدا البعض منهم الذى يذكرهم التاريخ ٠

انه لمن الغريب حقا أن يوجد مناصرون لتلك الســياسة ســياسة الموت سياسة التفكك سياسة الانتصار الى المبادىء هــؤلاء المناصرون الذين لايكفون عن أن يلقوننا ليــلا ونهــارا أن الانجليز هم الأقوياء ونحن الضــعفاء ومايترتب على ذلك من أننــا يجب ألا نتحدث اليهم الا بخضوع واذلال وأنه يجب علينا أن نطيعهم فى كل مايفرضوه علينا من قوانين ٠

هذه هى التغريرات ونحن سعداء بملاحظاتنا أن الذين يفضلونهم عنا هم أقلية ، وان الانجليز لم يستولوا على أى شىء فى مصر بالقوة ولكن بمحض ارادة الحكومة المصرية ، فنحن لسنا فى معركة أو صراع ضد الانجليز كى نقول انهم هم الأقوياء ونحن الضعفاء ٠

نحن الأقوياء لأن الانسانية تقول ان مصر هى حضارة الشعوب بلادنا ، بحاضره ، بموقفه ، نحن أقوياء بالحضــارة التى تسلحنا بها والتى أعطتنا الحق أن نكون ضمن الدولة المستقلة ٠

نحن الأقوياء لأن الانسانية تقول ان مصر هى حضارة الشعوب وهى التى لاتستحق أن تكون مقهورة ٠

سادتى :

قد يقال أننا نكره كل ماهو انكليزى وأننا لانمدح أى انكليزى ، وانما الحقيقة هى العكس تماما ، لقد أعلنا مرارا أننا نكره الاحتلال

الانكليزى لأن المحتلين دخلاء ، واذا كان هناك مكان الانكليز آية دولة أخرى لكرهنا استعمارها بنفس الكره ، لأننا نكره مغتصبى استقلالنا فى حد ذاته ولاتهمنا جنسيته ، لقد عرفنا قدر الانكليز العادلين وعديمى المحاباة الذين لم يخلطوا السياسة بأعمالهم والذين خدموا الوطن مخلصين ٠

ونحن هنا نشكر من كل قلوبنا الانكليز الأحرار الكرماء الذين تأثروا جدا بأحداث دنشواى والذين رأوا فيها عارا لبريطانيا العظمى بل للانسانية جمعاء ، والذين بذلوا أقصى مافى وسعهم كى يحصلوا على العفو عن سجناء دنشواى ٠ ان الأمة المصرية سعدت جدا من النتيجة التى حصلت عليها ولكن يهمكم قبل كل شىء رؤية اختفاء تلك السلطة التى نطقت بأحكام الاعدام فى دنشواى تلك السلطة التى وضعت بين أيدى بعض المسئولين ، نحن نحيى كل أمة تكون أمة دستورية ونحن نعتبر أنه من العار ومن المخجل أن لايكون لمصر دستورها ، الدستور الذى تنحنى أمامه الرءوس وبفضله لانرى أى فلاح برىء يعاقب بسجن أو يضرب بالسياط ، أو قضاة مطيعين للسياسة ومصدرين لأحكام لاتنسى ، قضاة قد كوفئوا بوقاحة كما لو أنهم ضموا للبلد مستعمرات جديدة أو أنهم توصلوا الى اكتشافات جديدة ٠

نحن نحارب تلك السلطة المطلقة بكل قوتنا وفى كل وقت ولاننسى ولو لثانية واحدة أنها الخطر الذى يتهددنا دائما ، واذا شعرت أقوى دولة بحاجتها الى قوة أخلاقية تعضد أفعالها أمام العالم فالواجب علينا أن نزيد من قوتنا الأخلاقية خدمة للوطن ٠

فلتستمر صحفنا فى الكتابة ونحن لانكل من أن نرفع صوتنا وليكن مبدؤنا على الدوام هو الاقناع لأن الغير ان لم يقتنع فسيقتنع غدا ، وأن قوة القانون لاتقهر والنصر لها مؤكد ان عاجلا أو آجلا ٠

ولتكن للقوة التى نكافح معها وجهة نظرها وهى مساعدة وطننا وأن نوضح لأوروبا الحقيقة بغية جذبها نحونا وأن نثبت لها أننا أصبحنا ايجابيين للحضارة والانسانية ، فلنبعد كل سوء تفاهم يمكن أن يحدث بين السياسيين الأوروبيين وبيننا ٠

ألا تعلموا أيها السادة أن الجمعية العمومية بمجرد أن طالبت

ببرلمان قام اللورد كرومر وأعوانه وأعلنوا فى كل مكان أننا نريد أن نضع أيدينا على المالية المصرية كى نفلسها ونتجاهل حقــوق دائنيها ، ولذلك قام الحزب الوطنى وأعلن فى جدول أعماله أنه يوافق على ادارة مالية أوروبية تشبه «الحكم الثنائى» مادامت مصر مدينة لأوروبا ـ هذه الادارة اذا أخذت جزءا من اختصاصها من البرلمان المصرى فانها تترك له بقية حقوقه ، والتى نحن الآن مجردون منها ٠

فبهذه القوة الأخلاقية نحن نجتهد فى أن نوفق بين مصالح المصريين وبين ضيوفهم الغرباء ، أولئك الذين لم يخدموا مصالحهم الشخصية فقط وانمــا خــدموا أيضــا مصالح البــلاد بتثمير كثير من فــروع ثروتها ٠

فمهما أراد الدساسون أن يبعدوهم عنا ، فانى متأكد أن علاقاتنا ستكون دائما ودية وأنها ســوف تتحسن من يوم الى يوم ، لأنه عــادة لاتوجد أية اختلافات بين ميولنا وميولهم وشعورنا بمصالحنا ومصالحهم، فأغلبهم يحبــون مصر وتهمهم مصلحتها ، هــذا أعــرفه وأؤكده بكل سرور ٠

سادتى : اننى لست فى حاجة أن أقول لكم أن أعداء الحزب الوطنى سيضاعفون جهودهم كى يعارضوه كلما زادت قوته وتطورت ٠ اتحدوا ووحدوا صفوفكم وخذوا حذركم وليكن كل منكم الحزب كله وليكن الجميع جبهة واحدة ! صموا آذانكم عن الوشايات واعلموا أنكم صانعو أشرف عمل فى خــدمة أعظم وأشرف وطن ، ارفعــوا هاماتكم ٠ أنتم ياسلالة الفراعنة وياورثة حضارة الاسلام ، اعطوا بسخاء مساعدتكم للحزب الذى يعمل لنهضة مصر ، ومــرة أخــرى كونوا متحــدين كى تنصروا حقكم المقدس وتحصلوا ثانية على حريتكم وقولوا كلكم معى : تحيا مصر ! يحيا الاستقلال ٠